الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحـــث العلمـــــي
جامعة الشاذلي بن جديد - الطـــــــارف -

كلّية الآداب واللّغات - قسم اللّغة والأدب العربي

مسألة التصنيف في الحكي الشعبي

- دراسة تاريخيّة استقصائيّة مقارنة -

مذكرة مُقدّمة لاستكمال متطلّبات الحصول على شهادة ماستر في اللّغة والأدب العربي

الميدان: اللّغة والأدب العربي

– الشعبة: الدراسات الأدبيّة

– التخصّص: أدب شعبي

إعداد الطالبتين:

– مرزوقي سعيدة ومخلوف هجيرة

إشراف الأستاذ:

دكتور مولدي بشينية

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الهيئة المستخدمة	الصفة
عبد الوهاب بويمّة	أستاذة محاضر– ب–	الشاذلي بن جديد– الطارف	رئيسا
مولدي بشينية	أستاذة محاضر– ب–	الشاذلي بن جديد– الطارف	مشرفاً ومقرراً
سامية كعوان	أستاذ محاضر – ب–	الشاذلي بن جديد– الطارف	مناقشا

السنة الجامعيّة: 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمان الرحيم

إن الحمد لله؛ نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يُضلل فلن تجد له وليّا مُرشدا.

أشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلّم.

أدّى الأمانة وبلّغ الرسالة وتركنا على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلّا هالك فصلّ اللهم وسلّم وبارك عليه وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

** دُعـــــــــاء **

اللهم ارحمنا بالقرآن واجعله أساسا ونورا وهدى.

اللهم لا تجعلنا ممّن يسمعون القول ولا يفقهون ولا تجعل الغرور

يصيبنا إذا نجحنا واجعلنا ممن يحبّون العمل والمثابرة وأجعل النجاح رفيقا

لحياتنا ولا تجعل لليأس والخمول مكانا فيها

اللهم وفّقنا دائما وكن معنا ولا تكن علينا

آميـن يا رب العالميــن.

*** شـــكر و عرفـــــان ***

– نتقدّم بجزيل الشكر إلى أستاذنا الفاضل "مولدي بشينية" الذي تفضّل علينا بإشرافه على بحثنا ونُثني على كلّ ما قدّمه لنا من دعم وإرشاد لإتمام هذا العمل؛ فله الشكر كلّه وجزاه الله عنّا خير الجزاء.

– ونتوجّه بخالص الشكر لكلّ معلّم علّمنا ولو حرفا؛

فوراء كلّ أمّة عظيمة تربيّة عظيمة.

كما نتوجّه بالشكر إلى كلّ من دعمنا لإتمام هذا البحث.

*** إهداء ***

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات اهدي عملي

اهديه الى كل من احبهم في الله

الى روح عمي الغالي " حسونة " رحمه الله

الى امي الحبيبة و والدي العزيز حفظهم الله لي

الى اختي هناء واولادها نادر وساجد والى اخي حمزة وابناءه نزار جاسر وريتاج واختي احلام وابناءها اكرم ورحاب وعبد الودود واخي رياض وابنه عبد المهيمن

والى عماتي عريفة صليحة نادية دليلة والسودة وشدلية وحورية

والى خالاتي حبارة وليلى وحورية

وشكر خاص للمديرة الفرعية سامية والى صديقاتي هجيرة وهيبة وفوزية اسماء سارة نريمان وامينة وفاطيمة ومريم وسهيلة اسيا وحميدة وعيشة وسلوى ونوال وهناء ذكرى رحمة كريمة وسام وابنتها ميار لطيفة وريمة ودلال ونبيلة سعيدة

*** إهداء ***

اهدي ثمرة جهدي هذا الى المولى عزوجل

الى كل من علمني حرفا في هذه الدنيا الفانية

الى روح والدي الغالي رحمه الله

الى اغلي ما املك في هذه الدنيا والدتي العزيزة

الى زوجي وابنائي ريهام ابراهيم هبة الرحمان ونوح

الى اخوتي واخواتي وكل اولادهم

و الى كل عائلة زوجي

والى كل الاصدقاء وزملاء العمل

هجيرة

مقدّمـــة

مـــــقـــدّمـــــــة:

ينطلق هذا البحث من تساؤل رئيس نرى أنّ طرحه مشروعا في ظلّ الارتباك الحاصل في حقل الدراسات الشعبيّة؛ سواء لدى الدارسين المعروفين أو لدى طلبة الدراسات الشعبيّة حول مسألة تصنيف الحكايات الشعبيّة وهو: إذا كان تصنيف (classification) المواد الحكائيّة الشعبيّة إجراء نبيل ومهمّ للقيام بأي دراسة حول الحكاية الشعبيّة وإذا كان التصنيف هو ذاته إجراء ثان يأتي بعد التوثيق مباشرة قبل القيام بأي دراسة للحكاية الشعبيّة؛ فإنّ السؤال الرئيس الذي يطرحه هذا البحث هو:

– كيف يمكننا تصنيف المواد الأدبيّة في الحكاية الشعبيّة؟

ومن هذا التساؤل الرئيس، انبثقت عدّة تساؤلات فرعيّة في الحقيقة وهي:

– هل يمكننا العثور على منهج علمي رصين لتصنيف مواد الحكايات الشعبيّة؟

– وهل هناك معايير علميّة عالميّة أو محلّية متّفق عليها بين الدارسين – مثلما هو الحال في العلوم الطبيعيّة وعلم المكتبات– لتصنيف مواد الحكايات الشعبيّة تصنيفا علميا دقيقا؟

– ما هي أبرز الاجتهادات العلميّة على الصعيدين الغربي والعربي في مجال تصنيف المواد الثقافيّة الشعبيّة عموما وفي مجال تصنيف مواد الحكايات الشعبيّة خصوصا؟

– ما هي أسباب الارتباك الحاصل في حقل الدراسات الشعبيّة بخصوص مسألة التصنيف:

– هل هي أسباب موضوعيّة متعلّقة بالحكايات نفسها أم متعلّقة بالحكايات نفسها في علاقتها ببقيّة الأجناس الأدبيّة الشعبيّة أم متعلّقة بالارتباك الحاصل في مجال مصطلحات الفولكلور والدراسات الشعبيّة؟

– أم هي أسباب ذاتيّة متعلّقة بالباحثين وبخطط البحث واستراتيجياته وغاياته في كلّ وسط علمي؟

قلنا سابقا أنّ تساؤلاتنا التي ننطلق منها في هذا البحث نراها مشروعة، وذلك لأنّ مسألة تصنيف مواد الحكايات الشعبيّة يلفّها غموض كبير وتعيش ارتباكا ملحوظا على مستوى الواقع العلمي غربا وشرقا إلى درجة أن كلّ دارس للحكايات الشعبيّة، إمّا يكرّر تصنيف دارس آخر مع بعض التعديل أو يبتكر تصنيفا له يتلاءم مع المادة الحكائية المجموعة لديه.

وقد أدّى إجراء الدارسين لتعديلات بارزة أو طفيفة على التصنيفات المعروفة للمواد الحكائيّة المجموعة من أفواه الرواة الشعبيين إلى اكتظاظ ساحة الدراسات الشعبيّة بالتصنيفات؛ حتى يُخيّل للدارس المبتدئ قبل المتابع

الحصيف، وكأنّ التصنيف ليس علما قائما بذاته وليست له معايير علميّة خاصّة ودقيقة؛ بل هو جهد فردي خلّاق عكس ما هو عليه الحال في علوم أخرى.

والحقيقة التي يجب أن تقال ونحن بصدد وضع مقدّمة لهذا البحث، هو أنّ واقع البحث في الثقافة الشعبيّة على الصعيد العربي يشير منذ بداية منتصف القرن الماضي وحتى الآن، إلى أنه وصل إلى مرحلة مستقرة فيما يخصّ مناهج البحث والجمع الميداني. فقد أصبح لدى الدارسين أدوات للجمع الميداني تتميّز عن سائر الأدوات في العلوم الأخرى، كما استفادوا من مناهج الملاحظة والملاحظة بالمشاركة والمقابلة وغيرها من مناهج البحث الأنثروبولوجي التي تمّ توظيفها في مجال البحث في الثقافة الشعبيّة.

بل لقد أصبح لدى الباحثين في الثقافة الشعبية العربية منهجا متكاملا في البحث يحمل اسم (المنهج الفولكلوري)، الذي يبحث المادة الفولكلورية في مداخلها التاريخية والجغرافية والسوسيولوجية والنفسية. ومن ثم أصبح لديهم أدوات ومناهج تم اختبارها على مدى عقود وتمّ استخلاص نتائجها البحثية. كما ساير البحث في الثقافة الشعبيّة على الصعيد العربي استخدام النظريات المختلفة في مجالي البحث والتحليل؛ كالنظرية الوظيفية ونظرية العوالم الفولكلورية ونظرية العبور ونظرية إعادة الإنتاج وغيرها من النظريات والمناهج والإجراءات.

غير أن حال الدراسات الشعبيّة العربيّة في علاقتها بالتوثيق وتصنيف المواد المجموعة بالتحديد، ليست على ما يرام؛ وذلك لأنّها عمليات ذات صلة وطيدة بعلم الوثائق وعلم المعلومات وعلم المكتبات، وهو ما لم يكابده الباحثون العرب بحنكة واقتدار في الميدان، ومن ثمّ غابت الرؤية بعض الشيء عن الاستفادة بمناهج علم الوثائق والمعلومات في توثيق التراث الشعبي والحكايات الشعبيّة بالتحديد.

ولعلّه من المفيد أن نشير في هذا السياق، إلى أن التصنيف العالمي الذي وضعه "ستيث تومسون" للحكاية الشعبية تحت اسم (آرني- تومسون) والذي لايزال حتى الآن يستخدم على المستوى العالمي هو تصنيف اعتمد على علوم المكتبات، بل إن "تومسون" نفسه كان متخصصا في علم المكتبات والوثائق قبل وضعه لهذا التصنيف.

أما على الصعيد العربي فإنّ الاستفادة من علم المعلومات ارتبطت بعمل الببلبوجرافيا المتخصّصة في الثقافة الشعبيّة. فمنذ مطلع السبعينات حتى الآن أنجزت مجموعة من الببليوجرافيات وضعت الثقافة الشعبيّة في مكانة مميزة بين العلوم، ولعل آخر وأهم ببليوجرافيا في المجال تلك التي تحمل عنوان (الإنتاج الفكري العربي في الفولكلور).

غير أن توثيق المادة الفولكلورية الميدانية بوسائطها المتعددة ومن ثمّة تصنيفها، باتت طيلة نصف القرن في مرحلة التنظير واستسلمت للعديد من الرؤى الذاتية التي لم تخلص في النهاية إلى منهجية عامة وواضحة يمكن الاعتماد عليها في البحث. ولعل حاجتنا اليوم إلى منهج في توثيق المادة الفولكلورية وتصنيفها، أصبحت أكثر إلحاحا عن

ذي قبل، فعصر المعلومات الذي نعيشه أفرز تيارا عالميا يفرض على المشتغلين بالعلوم الإنسانية أن يتواصلوا مع غيرهم في جميع أنحاء العالم عن طريق تبادل المادة الميدانية لكلّ ثقافة على حدة من أجل البحث والمقارنة. كما أن أدوات التسجيل الميداني الصوتية والفوتوغرافية والمرئية أصبحت أكثر انتشارا وأكثر دقة وأقل ثمنا. الأمر الذي جعل علماء الأنثروبولوجيا في أمريكا ينادون بمنهج في التسجيل والجمع ظهر مع نهاية التسعينات تحت اسم «الأنثروبولوجيا البصرية» يحفز الإخباريين على جمع مادتهم بأنفسهم ويصوروا ثقافتهم برؤيتهم الخاصة. وهو ما يساير التقدم المذهل الذي يفرض علينا الجديد كل يوم في مجال الوسائط المتعددة .

ومن شدّة أهميّة التصنيف في هذا العصر أنّ "علم المعلومات" صار يرتبط ارتباطا وثيقا بثلاثة مناهج رئيسة يمكن توظيفها في علم الدراسات الشعبيّة من أجل الوقوف على منهج متين وهي:

- علم التصنيف
- علم الاستخلاص
- علم المكانز.

ونظرا لقيمة التصنيف في أي بحث علمي قسمنا بحثنا إلى مقدّمة وفصلين وخاتمة وذيلناه مثلما هو متعارف عليه في البحوث الأكاديميّة بملخّص لمجمل ما جاء فيها ثمّ بثبتٍ للمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في تحرير مجمل فقراته ثم رسمنا فهرسا يبيّن النظام الذي سار عليه.

ففي المقدّمة طرحنا تساؤلات البحث والهدف منه ووضعنا خطته وذكرنا أهم الصعوبات التي اعترضت سبيله، أمّا الفصل الأوّل فخصصناه لتحديد مفاهيم المصطلحات الرئيسة في عنوان البحث كمصطلح دراسة تاريخية استقصائيّة مقارنة ومصطلح التصنيف الذي حدّدنا مفهومه وتتبعنا تاريخه – ولو بإيجاز – في العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانيّة غربا وشرقا.

أمّا الفصل الثاني فخصصناه للحديث عن مسألة التصنيف في دراسة الحكاية الشعبيّة وذلك من خلال تحديد مفهوم التصنيف الأدبي ثم تحديد مفهوم مصطلح الحكاية الشعبيّة والتطرّق إلى الصعوبات البارزة في مجال دراسة الحكايات الشعبيّة؛ وهي صعوبات تتعلّق بترتيبها وتجنيسها ثمّ تصنيفها. كما فصلنا الحديث في هذا الفصل عن بداية تاريخ الاهتمام بالحكايات الشعبيّة لنخلص في الختام إلى الحديث عن الحكايات الشعبيّة وعلاقتها بمسألة التصنيف غربا وشرقا؛ دون أن يخلو الحديث من مقارنات قدر الإمكان بينها.

وانهينا بحثنا بخاتمة لا تقل قيمتها أهمّية عن الفصل النظري والتطبيقي لأننا أردنا ان تكون خاتمة استنتاجيّة نحوصل فيها ما توصلنا إليه من نتائج سواء في الفصل الأول أو الثاني.

أمّا منهج الدراسة فهو – مثلما هو مرسوم في عنوان البحث – فقد اعتمدنا إجراء تتبّع مختلف أطوار العديد من المصطلحات والأفكار والمفاهيم والجهود في مجال التصنيف وهو إجراء معتمد في المنهج التاريخي كما أننا استقصينا كثيرا في بحثا عن مسألة التصنيف في العلوم الطبيعية والانسانية وفي الدراسات الشعبية؛ محاولين القبض عن أسسها ومرتكزاتها وجميع عناصرها قدر الإمكان، دون أن نهمل عقد مقارنات بين مختلف المفاهيم والمصطلحات والجهود العلمية التصنيفيّة غربا وشرقا.

ولم يخل البحث من صعوبات نوجزها في النقاط الآتية:

1- لقد أنجزنا بحثنا بصعوبة بليغة وذلك نظرا لضيق الوقت الممنوح للطلبة في طور الماستر لإنجاز مذكّرة علميّة وتلخيص كتاب علمي في آن واحد.

2- لقد لاقينا صعوبة كبيرة في بحثنا في مسألة التصنيف في الحكاية الشعبيّة وهذا راجع لعدّة أسباب نوجزها فيما يأتي:

أ- إنّ مسألة التصنيف في الحكاية الشعبية من المسائل البحثيّة التي لم يكتب فيها الباحثون الذين صادفناهم في مسارنا الدراسي عموما كتبا مستقلّة عن غيرها من المباحث المتصلة بالثقافة الشعبية، تتناول جميع جوانبها بالمتابعة والتأريخ والاستقصاء والمقارنة في كتاب واحد.

ب- إنّ عدم وجود كتب مستقلّة تتناول بالتفصيل الدقيق مسألة التصنيف تأريخا واستقصاء ومقارنة، قد تعود أسبابه – في اعتقادنا- إلى الخلاف الكبير الحاصل حول مسألة التصنيف في حدّ ذاتها، وذلك ربما لخضوعها لذاتيّة الباحثين أو لخضوعها لاستراتيجياتهم البحثيّة أو لخضوعها لخططهم العلميّة المرتبطة بعمليات أخرى لصيقة بالتصنيف كالجمع الميداني والتوثيق العلمي والتحليل الأكاديمي وملامح البحوث.

ولا يسعنا في الأخير إلّا أن نذكر الهدف من هذا البحث، وهو وضع مذكّرة بحثيّة في تخصّص الأدب الشعبي تلمّ – ولو بإيجاز- بالتفاصيل الكبرى لمسألة مهمّة أرّقت الباحثين والدارسين والطلبة وهي مسألة تصنيف مواد الحكايات الشعبيّة وإجمال الجهود العلمية التي سنحصل عليها بعد عملية الاستقصاء من أجل وضع معايير تصنيفيّة قد تكون لبنة مفيدة في فهم الحكاية الشعبية الجزائرية والعربية والعالمية فهما علميا دقيقا.

الفصل الأول:

ضبط مصطلحات البحث الرئيسة:

أوّلا – تحديد مفهوم دراسة تاريخية استقصائية مقارنة.

1– تحديد مفهوم دراسة تاريخيّة

2– تحديد مفهوم دراسة استقصائيّة

3– تحديد مفهوم دراسة مقارنة

ثانيا – تحديد مفهوم لفظ "تصنيف".

1– لغة

2– اصطلاحا

3– تاريخ التصنيف عند العرب

4– تاريخ التصنيف لدى الغرب

ثالثا – التصنيف في العلوم الإنسانيّة.

1– العلاقة بين التصنيف والعلوم الإنسانيّة

2 – دور التصنيف وأهمّيته في العلوم الإنسانيّة.

بما أنّنا سنتناول في بحثنا هذا، دراسة مسألة بعينها وهي مسألة تصنيف الحكي الشعبي من وجهة نظر تاريخيّة واستقصائيّة ومقارنة، فإنّه صار لزاما علينا أكاديميا أن نوضّح في هذا الفصل المقصود بالدراسة التاريخيّة ثمّ المقصود بالدراسة التاريخيّة الاستقصائيّة ثمّ المقصود بالدراسة التاريخيّة الاستقصائيّة المقارنة ونترك تحديد مفهوم الحكي الشعبي إلى الفصل الثاني؛ وذلك حتّى ينتظم بحثنا وتتبيّن مرتكزاتنا المنهجيّة ونظرتنا إلى الموضوع فتتّضح خطواته وترتسم أهدافه ومقاصده. فما هو المقصود بالدراسة التاريخيّة الاستقصائيّة المقارنة لمسألة التصنيف؟

أوّلا – تحديد مفهوم دراسة تاريخية استقصائية مقارنة.

1– المقصود بالدراسة التاريخيّة لمسألة التصنيف:

إنّ الدراسة التاريخيّة لمسألة من المسائل عموما، تقتضي تطبيق آليات وإجراءات المنهج التاريخي؛ وهو منهج – كغيره من مناهج البحث – له عدّة تعريفات ولعلّ من أشهرها التعريفات الآتية:

1– 1– المنهج التاريخي: وهو المنهج الذي "يهتم بدراسة الظواهر والوقائع في سياقها التاريخي من خلال دراسة نشأة الظاهرة وتطورها والعوامل المساهمة في ذلك وتحليل ماضي الظواهر من أجل تفسير الوضع القائم لها في الحاضر والتعرّف على اتجاهاتها المستقبليّة"[1]. كما يرد تعريف المنهج التاريخي على أنّه: "الطريقة التاريخية التي تعمل على تحليل و تفسير الحوادث التاريخية ،كأساس لفهم المشاكل المعاصرة ،و التنبؤ بما سيكون عليه المستقبل"[2].

بالإضافة إلى التعريفات السابقة فإنّ هناك من يعرّفه على أنّه: "منهج علمي لأنه يتبع خطوات المنهج العلمي في تحديد المشكلة وتجميع المعلومات الأساسية عنها ثم صيانة الفروض كلما أمكن ثم تجميع الأدلة التي تختبرها الفروض"[3]، فقد ورد تعريف المنهج التاريخي بأنه: "عبارة عن إعادة الماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها ومن ثم تمحيصها وتأليفها ليتم عرض الحقائق عرضا صحيحا في مداولاتها وفي تأليفها للتوصل إلى استنتاج النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة"[4].

1– بن داودية وهيبة، منهجية البحث العلمي (مطبوعة في مقياس منهجية البحث العلمي)، 2017/2016، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة الشلف، الجزائر، ص 72.
2– حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980، ص20
3– أحمد بدر، مناهج البحث في علم المكتبات والمعلومات، دار المريخ، الرياض، ط 1988، ص119
4– فوزية زنقوفي، مدارس ومناهج، (مطبوعة بيداغوجية في مقياس مناهج البحث)، 2019/2018، كلية العلوم الاجتماعيّة، جامعة قالمة، ص31.

وممّا سبق يمكن استخلاص أن المنهج التاريخي المقصود في هذا البحث هو ذلك المنهج الذي سيمكّننا من تتبّع ودراسة مسألة التصنيف لدى العرب والغرب في الماضي والحاضر وذلك على أسس علميّة منهجية دقيقة بقصد التوصّل إلى الحقائق التي تساعد على فهم المسألة فهما علميّا قدر الإمكان.

1- 2- المقصود بالدراسة الاستقصائيّة لمسألة التصنيف:

ورد لفظ الاستقصاء في المعاجم العربيّة بمعنى "قصّ أثر فلان: راقبه، تتبّع أثره، تقصّص الشخص أثره بمعنى تتبعه[1]، واقتصّ أثره:كقصّه وتقصّصه[2]، و"استقصاء (مصدر استقصى)، استقصاء تفاصيل الموضوع كلّها: بحث تفاصيل الموضوع جملة وتفصيلا، استقصاء في البحث وعمق في الدرس. واستقصى الأمر: بلغ أقصاه في البحث عنه، واستقصى الموضوع من كلّ جوانبه: بحث فيه بحثا شاملا وقد بلغ الغاية فيه"[3].

أمّا الاستقصاء اصطلاحا فهو طريقة لجمع البيانات الأوليّة عن طريق توجيه مجموعة من الأسئلة إلى المستقصى منهم، ويطلب منهم الإجابة عليها[4]. أي هو عبارة عن مجموعة من الأسئلة المرتبطة والمكمّلة بعضها لبعض والتي تعالج مشكلة أو ظاهرة أو موضوع معين، وذلك بجمع الأجوبة من المجتمع المدروس، حيث تسجّل هذه الإجابات ثم يتم تفريغها وتبويبها وتحليلها واستخلاص النتائج منها.

ومصطلح الاستقصاء قريب من مصطلح سير الآراء، والذي يعني استطلاع مواقف الناس في قضية معينة بالاعتماد على عينة منهم[5]، وهو طريقة فنّية لجمع المعلومات التي تستخدم في معرفة رأي مجموعة من الناس في مكان معيّن ووقت معيّن عن موضوع معين[6].

يتبين من التعاريف السابقة أن الاستقصاء يُستعمل بكثرة في العلوم الاجتماعيّة وله مجموعة من التقنيات والأساليب أو الطرق التي تسمح للباحث بجمع البيانات حول موضوع أو مسالة ما من خلال اختيار عينة من مجتمع الدراسة تكون ممثلة له بشكل جيد، ثم تحلّل تلك البيانات وتُستخلص منها النتائج.

1- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 1، المجلد الثاني، القاهرة، 2008، ص 1823

2- مجد الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط"، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان الطبعة الثامنة، 2005، ص628

3- عبد الغني أبو العزم، معجم الغني، المكتبة الشاملة على محرك البحث غوغل، زرته ليلة الخميس 12- 02- 2024، ص 3172، ورابطه: http://shamela.ws/index.php/book/3083

4- الإدارة العامة لتصميم وتطوير المناهج، بحوث التسويق المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني، المملكة العربية السعودية، ط 1429 هـ، ص27.

5- احمد مختار عمر، مرجع سابق، ص 1025

6- المرجع السابق، ص 839.

ويقصد هذا البحث بمصطلح الاستقصاء معناه اللغوي المذكور سلفا لأنّ المعاني الاصطلاحيّة تخصّ مجال العلوم الاجتماعيّة بالأساس؛ أي أنّ المقصود بالاستقصاء هنا هو تتبّع أثر وتفاصيل موضوع التصنيف في العلوم الطبيعيّة وفي العلوم الإنسانيّة أيضا وصولا إلى تتبّع أثره في الحكاية الشعبيّة بشكل خاصّ ورصد أهم التصنيفات المعروفة في هذا المجال ومقارنتها بعضها ببعض.

1-3- المقصود بالدراسة المقارنة لمسألة التصنيف:

إنّ المقارنة لغة تعني المقايسة بين ظاهرتين أو أكثر وذلك بإيراد أوجه الشبه والإختلاف بين مختلف الظواهر المطلوب دراستها. أمّا اصطلاحا فإنّ المقارنة عملية يتمّ خلالها إبراز أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين شيئين متماثلين أو أكثر؛ وهذا يعني أنّه لا يمكن أن تجري المقارنة بين شيئين متناقضين.

كما نجد تعريفا آخر للمقارنة على أنه عبارة عن: "إجراء مقارنة بين ظاهرتين أو حالتين بغرض كشف أوجه الاختلاف والتشابه أو تحديد دور وأثر ظاهرة أو متغيّر معيّن وأسبابها و مكوناتها[1]. أمّا "**إميل دوركايم**" فإنّه يقول بخصوص المقارنة أنّه "لو استعملنا هذا المنهج استخداما دقيقا ومضبوطا بحيث يستطيع تزويدنا بأحكام ترابطية بين متغيرات مختلفة، فإنّنا نستطيع اعتبار هذا المنهج شبه تجريبي"[2].

وما يمكن استنباطه ممّا سبق هو أن الدراسة المقارنة لمسألة التصنيف هي أحد المناهج البحثيّة التي تبحث أسباب ظهور المسألة أوّلا ومظاهر حدوثها غربا وشرقا، وماضيا وحاضرا ثانيا، ثمّ مقارنة تلك المظاهر بعضها ببعض بهدف التعرّف على العوامل المسبّبة لحدوث المسألة والتعمق في فهم أسبابها.

وعليه يمكن القول الآن، أنّ المقصود من المصطلحات الرئيسة لعنوان البحث، هو تتبّع أثر مصطلح التصنيف – ولو بشكل موجز- في اللغة والاصطلاح ورصد جهود العلماء والدارسين الغربيين والعرب في هذا المجال واستقصاء حضوره في مجالي العلوم الطبيعيّة والعلوم الإنسانية بشكل عامّ وفي الدراسات التي أُقيمت حول الحكاية الشعبيّة بشكل خاصّ بهدف رصد مظاهر التشابه والاختلاف بن الدارسين حوله وتحليل أسباب ذلك قدر الإمكان

ثانيا – تحديد مفهوم لفظ "تصنيف".

1- بن داودية وهيبة، مرجع مذكور، ص 91
2- عاطف على، المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2006، ص 136.

برز مصطلح التصنيف أوّل مرّة ضمن سلسلة من المصطلحات العلميّة المتجاورة في مجال البحوث العلميّة كمصطلح الجمع ومصطلح التوثيق ومصطلح الحفظ ومصطلح التحليل والاستقراء والاستنتاج وغيرها من المصطلحات العلميّة التي برزت ببروز العلوم الطبيعيّة وعلم المكتبات خلال عصر الثورة العلميّة التي عرفتها أوروبا في العصر الحديث؛ وذلك قبل أن يظهر بقوّة وثبات في حقل العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة.

والحقيقة هي أنّ العلوم الإنسانيّة آخر حقل معرفي ظهر فيه مصطلح التصنيف؛ وقد جاءه وتمّ اعتماده فيه عن جدارة بعد أن أثبت هذا المصطلح نجاعته ومردوده العلمي المميّز في حقول العلوم الطبيعيّة والتجريبيّة وعلم المكتبات؛ وكذلك نتيجة رغبه العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة في تنظيم عملها والتخطيط له بدقّة بدافع النزعة العلميّة التي اجتاحت كلّ مناحي المعرفة. فما هو مفهوم مصطلح "تصنيف" لغة واصطلاحا؟

1- تحديد مفهوم مصطلح تصنيف:

أ- لغة:

كلمة تصنيف في اللغة العربية مشتقة من الفعل صنف. وقد اتفقت معظم المعاجم العربية القديمة والحديثة كـ"لسان العرب" لابن منظور و"القاموس المحيط" للفيروز أبادي وا"لمعجم الوسيط" لمجمع اللغة العربية في القاهرة على أن التصنيف لغة هو "تمييز الأشياء بعضها عن بعض". أمّا قطر المحيط للبستاني فقد أضاف للتصنيف معنى آخر هو "التأليف والتبويب"؛ حيث أورد تحت مادة صنف ما نصّه: "صنف الشيء جعله أصنافا وميّز بعضه عن بعض ومنه تصنيف الكتب لجمعها وتأليفها"[1].

ويرد مفهوم التصنيف في اللغة بمعنى: "هو تمييز الأشياء بعضها عن بعض؛ أي ترتيب الأشياء وتجميعها بحسب درجات تشابهها وفصلها بعضها عن بعض بحسب درجات تباينها ... والتشابه قد يكون في النوع أو الشكل أو الحجم أو اللون أو الجودة أو الزمن أو غير ذلك من الأمور العديدة التي يصعب حصرها"[2]. وبناء على ما تقدّم فإنّ التصنيف لغة له معنيان:

- **المعنى الأول**: فرز الأشياء وتمييزها بعضها عن بعض، وهو المعنى الشائع في الحياة اليومية.

1- ربجي مصطفى عليات ويونس أحمد الشوابكة، مبادئ التصنيف وفق نظام تصنيف ديوي العشري، دار صفار، عمان 2015، ط2، ص15.

2- الهيئة العامة السورية للكتاب، مختصر التصنيف في المكتبات ونظام ديوي العشري، منشورات وزارة الثقافة، مديرية المراكز الثقافية، دمشق، 2011، ص 8.

– **المعنى الثاني**: التأليف والتبويب، وهو المعنى الدارج لدى المؤلفين العرب، وخاصة القدامى منهم، حيث اعتادوا في كتبهم ومؤلّفاتهم على استخدام كلمة تصنيف بمعنى تأليف لأن عملية التأليف تتضمّن تصنيف المادة الفكرية وتبويبها في فصول وأبواب[1].

ب– اصطلاحا:

إنّ كلمة تصنيف ومرادفها باللغات الأجنبيّة classification المشتقّة من كلمة class التي معناها (قسم أو فئة)؛ وكلّها تعني مجموعة من الأشياء أو العناصر التي تتشابه في خصائص معينة[2]. وباعتبار التصنيف عمليّة ذهنيّة يتمّ من خلالها التعرّف على أن المفاهيم العقلية أو صور الأشياء بها تشابها أو توافقا، حيث تنظم وحدتها بالأخرى وفق هذا التشابه أو التوافق[3].

وقد ورد تعريف آخر لمصطلح التصنيف في الاصطلاح بأنّه: "سلسلة أو نظام من الأقسام أو الأصناف مرتبة وفق مبدأ مفهوم أو غرض أو اهتمام أو أي مجموعة منها معا. ويطلق المصطلح على ترتيب أسماء الأقسام سواء كانت مادية أومجردة[4].

ويرد تعريف مصطلح التصنيف في علم المكتبات بمعنى "ترتيب المواد ذات الموضوع الواحد ترتيبا منهجيا يتقدّم فيها العام على الخاص وتقسّم الموضوعات تقسيمات دقيقة"[5]؛ بحيث "نجد أن كتب الموضوع الواحد تُميّز حسب موضوعاتها الدقيقة ومباحثها؛ فكتب الإسلام تفصل عن كتب الديانات الأخرى وكتب الفقه الإسلامي تميز عن كتب السيرة النبوية. لأنّ الهدف من التصنيف هو ترتيب الأشياء بطريقة تمكن من الوصول إليها بسهولة و يسر مما يوفّر الوقت والجهد اللازمين لذلك"[6].

2– تاريخ علم التصنيف عند العرب:

يُعدّ التصنيف لدى عدد كبير من الباحثين الغربيين والعرب على حدّ سواء، علما قائما بذاته[7]. وهو بشكل موجز واحد من أهم المباحث العلمية التي ازدهرت في الحضارة الإسلامية. فقد أصبح بعد فترة وجيزة من انطلاق الحركة العلميّة في المجتمع العربي الإسلامي، علما قائما بذاته له مبادئه وأصوله وأهدافه بالإضافة إلى ممثليه من العلماء

1– مبادئ التصنيف، مرجع مذكور، ص 15
2– صباح محمد كلو، نظام تصنيف دوي العشري d d c (دراسة تحليلية تطبيقية)، دار الصفاء، للنشر والتوزيع، الرياض أغسطس، 2000م، ص 11.
3– مختصر التصنيف في المكتبات ونظام ديوي العشري، مرجع سابق، ص 8
4– المرجع نفسه، ص 8
5– المرجع السابق نفسه، ص 8
6– المرجع نفسه، ص 9
7– عبد الله العربي، مسألة تصنيف العلوم عند المسلمين وغيرهم، مجلة بشائر، العلوم، المدرسة العليا للأساتذة، القبة، العدد 6 أفريل، 2023، ص10

والفلاسفة والمفكرين. بيد أنّ الكتابات في تصنيف العلوم عند العرب امتدت لعدة قرون حيث غلب عليها تياران اثنان أحدهما تقليدي والآخر أصيل وهما:

التيار التقليدي: تمثّل في أغلب الكتابات التي ظهرت في بداية الاهتمام بهذا العلم عند المسلمين والتي كان التأثّر فيها بفلاسفة اليونان واضحا؛ مثل كتابات الكندي والفارابي وابن سينا وغيرهم. إلّا أنهم ليسوا على طريقة واحدة، بل لكل منهم طريقته في تصنيف العلوم[1].

التيار الأصلي: هو التيار الذي كان تركيزه على التصنيف إنطلاقا من البيئة الإسلامية أكثر مما هو تقليد لليونان، فابتكروا مناهج جديدة مرتكزة على المغايرة والتمييز وقد مثل هذا التيار: جابر بن حيان وابن نديم والخوارزمي وابن خلدون وغيرهم؛ وكانت مراعاة البعد الشرعي واضحة عند هذا التيار من خلال استيعاب عملية التصنيف لجميع العلوم الإسلامية. كما كان لكلّ واحد منهم طريقته في تصنيف العلوم[2].

2-1- التصنيف عند ابن سينا:

قسم ابن سينا العلوم إلى قسمين:

الأوّل: خصّصه لما يسميه بـ " **العلوم النظرية المجرّدة** " و تتضمّن عنده ثلاثة **أقسام**:

- العلم الأسفل ويسميه " **العلم الطبيعي**"
- العلم الأوسط ويسميه "**العلم الرياضي**"
- العلم الأعلى ويسميه "**العلم الإلهي**"[3].

الثاني: ويسميه ابن سينا "العلوم العمليّة " وجعلها في ثلاثة أقسام:

- علم الأخلاق
- علم تدبير المنزل
- علم السياسة المدنيّة[4].

ويُنسب هذا التصنيف إلى التيار التقليدي، لأنه لم يزد شيئا عمّا جاء به أرسطو، لذلك عُدّ تقليدا له.

2-2- تصنيف العلوم عند ابن خلدون:

صنّف ابن خلدون العلوم إلى صنفين:

1- عبد الله العربي، مرجع مذكور، ص12
2- المرجع السابق نفسه، ص ن
3- المرجع السابق، ص3
- المرجع السابق نفسه، ص 44

- صنف طبيعي يهتدي إليه الإنسان بفكره.
- صنف نقلي يأخذه عمن وضعه.

ويقصد بالصنف الأوّل العلوم الحكميّة الفلسفيّة المكتبيّة المتّصلة بالمدارك الفكرية التي تمكن من معرفة موضوعاتها وبراهينها والتمييز بينها.

أمّا الصنف الثاني في العلوم النقلية الوصفية وهي كلّها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول[1].

3- تاريخ التصنيف عند الغرب:

شهدت أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين تغيّرات كبيرة من حيث الطرح الفكري وتناول العلوم الطبيعية وتطبيقاتها، فهوت الفلسفة الكلامية وبزغت الفلسفة الإنسانوية التي أقامت الفلسفة خصما للدين وتحدّت قواعد المنطق والميتافيزيقا وتحيّزت للغة والشعر والأدب وصاحب تيار الفلسفة الإنسانوية ما يُسمّى بحركة الإصلاح الديني التي بدأها "مارتن لوثر" (**1483– 1546**) ثم جان كالفن (**1509– 1564**).

وكانت حركة الإصلاح الديني من أسباب تمزّق الجمعيّة الدينيّة في أوروبا وتعزيز النزعات القومية وظهور مذاهب وأطروحات فكرية تسعى للتخلّص من سلطة الكنيسة الفكرية وأثّرت هذه الأطروحات والحركات على أبعاد كثيرة في المتجمعات الأوروبية[2]. وفي القرن السابع عشر بدأ ظهور فلاسفة العلوم الأوروبيين مثل (فرانسيس بيكون) (**1561– 1626**) و(رينيه ديكارت) (**1596–1650**) و(توماس هويز) (**1588–1679**).

وامتدّ تأثير الإصلاح الديني إلى القرن الثامن عشر الذي يسمّونه عصر التنوير الذي حدثت فيه الثورة الفرنسية واجتاحت بعض التيارات الفلسفية والفرضيات العلمية مثل فلسفة (إيمانويل كانت) (**1724–1804**) ثم (جورج هيجل) (**1770–1831**) و فرضية التطور التي وضعها (تشارلز داروين) (**1809–1882**) في القرن التاسع عشر وأثّر كل ذلك على تناولهم للعلوم و تصنيفهم لها[3].

3–1 – تصنيف العلوم عند فرانسيس بيكون:

صنّف الفيلسوف السياسي الإنجليزي "فرانسيس بيكون" العلوم من حيث قوى الإنسان في إدراكها إلى ثلاثة قوى وهي:

– المرجع السابق نفسه، ص 31
2– للاستزادة يُرجى الاطلاع على: مقال لصاحبه فوزي خليل عنوانه (ملخص تصنيف المعارف والعلوم عبر العصور) في موقع البحث الالكتروني على محرّك البحث غوغل الذي عاينته يوم الأربعاء 2024/01/12 على الساعة 21.03 على الرابط الآتي: www .academia.edu
3– المرجع الإلكتروني نفسه.

أ– التاريخ (علوم الذاكرة) وينقسم إلى قسمين:

– التاريخ الطبيعي ويشتمل على (حقائق الطبيعة وأفعالها – التطوّر غير الطبيعي وغرائب المخلوقات – الفنون كتاريخ التجارب والآلات).

– التاريخ المدني: ويشتمل على (التاريخ المدني الخالص وأفعال الإنسان – التاريخ الكنسي – تاريخ الآداب والممارسات الدينية – تاريخ التعليم).

ب – الشعر (علوم المخيلة): ويشتمل على (الشعر القصصي وشعر الملاحم – الشعر المسرحي والتمثيلي – الشعر الوصفي – الشعر الرمزي والخرافي).

ت – الفلسفة (علوم العقل) وتشتمل على (الفلسفة– االمبادئ والأخلاق– اللاهوت الطبيعي).

وتكمن أهمية تصنيف "فرانسيس بيكون " أنها أثرّت على التصنفات الكبرى في المكتبات وتقسيمات العلوم في أوروبا وأمريكا؛ سواء أخذت أطروحاته كما هي أو عدل عليها[1] .

3–2 – تصنيف العلوم عند "أوغست كونت":

إنّ تصنيف عالم الاجتماع الفرنسي ومؤسّس المذهب الوضعي في الفلسفة "أوغست كونت" مرتبط بما يُسمّى قانون الحالات الثلاث التي يسلكها العقل الإنساني في البحث وهي[2]:

أ– **الطريقة اللاهوتيّة:** تفسير الظواهر الطبيعية بإرجاعها إلى الأسباب الخارقة للعادة.

ب– **الطريقة الميتافيزقيّة:** تفسير الظواهر المستعصية على التجربة بفرض ميتافيزيقي وهي تعديل على الطريقة اللاهوتية.

ت– **الطريقة الوضعيّة:** إخضاع الظواهر لبعض القوانين، أي أن موضوع العلم ليس فيهم العلل الأولى أو الغائيات بل موضوعه هو العلاقات بين الظواهر.

ويرى "**كونت**" أن الشرط العام لتصنيف أي علم هو أن يجتاز المرحلتين اللاهوتية والميتافيزقية ويصل إلى المرحلة الوضعية الخالية من الغائية وقد صنف العلوم ورتبها حسب درجتها من البساطة والتجريد نزولا، ومقدار تعقيدها وتشابكها صعودا إلى ستة على النحو الآتي[3]:

1– الهندي أنس، ملخص تصنيف المعارف والعلوم عبر العصور، على محرك البحث غوغل الذي زرته يوم الخميس 12– 03– 2023 على الرابط: www .academia.edu
2– المرجع السابق.
3– المرجع السابق نفسه.

أ– **الرياضيات: وتشتمل على** (الرياضيات المجردة ومنها الحساب– الرياضيات الحسيّة الهندسة والميكانيك)

ب– **الفلك:** ويشتمل على (الظواهر الهندسيّة والظواهر الميكانيكيّة).

ت– **الفيزياء:** وتشتمل على (الجاذبية – الحرارة – الصوت – البصريات الكهربائية – المغناطيسية).

ث– **الكيمياء**

ج– **الأحياء**

ح– **علم الاجتماع:**

4– تصنيف العلوم عند الأمريكان :

في القرن الثامن عشر بدأت ملامح التصنيفات الأمريكية ووضعت أسس ومبادئ التصنيف المكتبي وأجريت الدراسات ونشرت الحكايات؛ فصار منه شكل فهرس "جامعة هارفارد" الذي نشر عام 1723 وضمّ 3500 مجلدا– خطّة – تصنيف؛ وتضمنت هذه الخطّة تسعة أقسام هي: **اللاهوت– التشريع – التاريخ المدني – التاريخ الطبيعي – الفلسفة – الفيزياء – اللغة – الرياضيات – البصريات – العلوم البحرية – الطب.**

ويعد "صمويل جونسون" (1772،1696) أوّل أكاديمي تصنيفي في أمريكيا وهو واضح كتاب التصنيف الذي استعمل فيه التصنيف الثنائي، فقسم العلوم إلى مجموعتين:

- ما يتّصل بالكلام أو اللغة عامة وخاصة
- ما يتّصل بالأشياء أو الفلسفة

ثم ضمّن هذه الأقسام فروعا، مثل الرياضيات والتاريخ الطبيعي والميكانيكا والجيولوجيا والفلك والنجوم وتوالت بعد ذلك التصنيفات الخاصة بالمكتبات سواء خاصة أو عامة.

4 – 1– أسس نُظُم التصنيف الأمريكيّة:

الأسس التي قامت عليها نظم التصنيف الأمريكية ترجع إلى أربعة أصول:

– تصنيف **"فرنسيس بيكون** " والتعديلات التي تمت عليه

– النظم التصنيفية المحلية، مثل تصنيف الجمعية الأمريكية للفلسفة

– تصنيف "جاك شارل بروتيه" الذي ظهر أول مرة عام 1804، وكان منافسا قويا لتصف "بيكون" وقد نقده الكثيرون واشتقت منه تصنيفات كثيرة منها تصنيف "**استيفن ايوث" 1865.**

– التصنيف التطوري القائم على ترتيب الموضوعات وفق ظهورها في التاريخ أو الطبيعة وتدرجها من الذرة إلى الجزيء ومن الخلاء إلى الحياة ومن التصنفات التطورية نذكر تصنيف "**بيترلسلي** "الذي ظهر عام 1862. وفي

العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر، ظهرت تصنيفات أخرى مثل تصنيف الفيلسوف الأمريكي "**ويليام هاريس**" الذي كان متأثّرا بأفكار "**هيجل** ".

4-2- تصنيف مكتبة الكونجرس:

اعتمدت مكتبة الكونجرس في البداية على طرق بسيطة لتصف مجموعاتها مثل التصنيف بالحجم أو استخدام الأرقام المتسلسلة للكتب. ولكن هذه الطرق لم تعد مناسبة لعملية التصنيف نظرا لزيادة أعداد المجموعات التي تملكها المكتبة ممّا أدى إلى الحاجة إلى نظام تصنيف آخر يتلائم مع مدة الزيادة فظهر أول تصنيف موضوعي عام 1812 مبني على أساس فلسفة "**بيكون** " في تقييم العلوم.

4-3 تصنيف ديوي العشري:

وهو تصنيف موضوع في كتاب أعادت نشره مشروحا ومبسّطا "الهيئة العامة السورية للكتاب" سنة 2011م وهو يحتوي على نبذة موجزة ومبسّطة عن علم التصنيف الواسع وفوائده والمبادئ التي بني عليها نظام تصنيف ديوي العشري وتاريخ بداية هذا النظام وأسلوب "ديوي" في بناء خطة التصنيف، وذلك حسب إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمختصرة من النظام الأساسي على شكل جداول مساعدة في عملية التصنيف والمراعى فيها أساساً خدمة الإنتاج العربي في مجال المعرفة الإنسانية[1].

وقد وضع هذا التصنيف العالم الأمريكي "ملفل ديوي" (1851-193) وهو أوّل نظام تصنيف من نظم تصنيف المكتبات بالمعنى الحديث وأكثرها شهرة في نفس الوقت. وقد لقى قبولا واستحسانا بالمكتبات الأمريكية وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام 1876. ويقوم هذا النظام على تقسيم المعرفة البشرية إلى عشرة أقسام رئيسية ويتفرع كل واحد من الأقسام الرئيسية إلى عشرة شعب تمثل التفريعات الرئيسية للموضوع كما أن كل شعبة تتنوع بدورها إلى عشرة شعب حسب طبيعة الموضوع.

وتجدر الإشارة في خاتمة الحديث عن مفهوم التصنيف غربا وشرقا وقديما وحديثا، إلى أنّه على الرغم من أن المساهمات العربيّة في مجال تصنيف العلوم تُعدّ مساهمات نوعيّة ومتميزة مثلما وضّحناه في البداية، إلّا أنّ أغلب الدارسين الدين اهتموا بتاريخ العلوم أو بتتبّع مراحل التأليف في هذا الموضوع، تجاهلوا تجاهلا غير مبرّر وغير موضوعي الإشارة إلى دور الإسهامات العربيّة في تطوير علم التصنيف بصفة عامّة؛ بل إنهم أقصوا تلك الإسهامات من مجال التاريخ؛ إذ انطلقوا من التجربة اليونانية ممثّلة فيما خُزن عن "أفلاطون" و"أرسطو" وقفزوا على المؤلّفات العربيّة

1 - الهيئة العامة السورية للكتاب، مختصر التصنيف في المكتبات ونظام ديوي العشري، منشورات وزارة الثقافة، مديرية المراكز الثقافية، دمشق، 2011.

وتخطوها ليصلوا مباشرة إلى المؤلفات الغربيّة التي ظهرت في أوروبا منذ بداية النهضة الغربية كما تجسدت في أعمال "روجر بيكون" (1219- 1292) و"فرنسيس بيكون" وغيرهما...

ثانيا – التصنيف وعلاقته بالعلوم الإنسانيّة:

1- ما هيّة العلوم الإنسانيّة:

العلوم الإنسانيّة جزء لا يتجزّأ عن المعرفة المتعلّقة براسة البشر وفحص ثقافتهم بكيفيّة علميّة وذلك باستخدام المناهج النقدية والتحليلية للإجابة عن تساؤلات مرتبطة بالقيم الإنسانيّة وبقدرة الإنسان في التعبير عن نفسه. وتتميّز العلوم الإنسانية عن غيرها من التخصّصات العلميّة بمحتوى مضمونها وبمناهجها المختلفة؛ إذ تُوصف في الغالب بأنّها دراسة تحليلية لخبرات وأنشطة البشر ومعرفة آليات معالجتهم للتجربة البشرية وتوثيقها.

وتشتمل العلوم الإنسانية عدّة مجالات وذلك بسبب اشتمالها على مجموعة ضخمة ومتنوعة من الفروع العلميّة ذات العلاقة الوطيدة بالمجال الإنساني كعلم الآثار وعلم الدين المقارن والتاريخ وفنون الآداء والفلسفة والأدب واللغات والإعلام ودراسة التواصل وغيرها من المجالات العديدة والمتشعبة بدورها إلى مجالات أخرى.

ويُطلق مصطلح الأدب على الأعمال الشعرية والنثرية المكتوبة التي يتّسم مؤلفّوها بقدرة عالية على التعبير والتصوير الجمالي عن مشاعرهم وخواطرهم وعكسها بأرقى أساليب الكتابة، ويُصنّف الأدب وفقاً لمجموعة متنوعة من المعايير، بما في ذلك اللغة والأصل القومي والفترة التاريخية والنوّع و الموضوع. وتشمل الدراسات الأدبيّة جميع الأعمال المكتوبة التي تتضمّن عنصر الخيال؛ كالشعر والدراما والسرد الأدبي بما في ذلك أدب الحكاية الشعبيّة.

ثالثا – التصنيف في العلوم الإنسانيّة:

1- العلاقة بين التصنيف والعلوم الإنسانيّة:

اقتحم مصطلح التصنيف مجالات العلوم الإنسانية أيضا. والملاحظ هو أنّ علاقة التصنيف في العلوم الطبيعيّة تختلف عن علاقته بالعلوم الإنسانيّة حيث غدت تلك العلاقة موضوعا معقّدا ويثير العديد من التساؤلات؛ لأنّه عند التحدّث عن تلك العلاقة تواجهنا مباشرة مسائل أخرى أكثر تعقيدا ومنا بشكل خاصّ مسألة الموضوعيّة والذاتيّة.

فعند إلقاء نظرة خفيفة على مسألة التصنيف في علاقتها بعنصر الذاتيّة والموضوعيّة، نجد أنّه في الحين الذي تسعى فيه العلوم الطبيعية إلى تحقيق الموضوعيّة من خلال المنهج التجريبي والقوانين العلميّة ممّا يعني أن الباحث يجب أن يكون محايدًا ويتجنب التأثيرات الشخصية خلال مختلف التصنيفات، فإنّ تمحور البحث التصنيفي في العلوم

الإنسانيّة حول الإنسان نفسه وتعامل الباحث مع خصوصيات الإنسان وتجاربه وثقافته، يجعل الذاتيّة جزءًا أساسيًا من العملية البحثية التصنيفيّة.

وبناء على ما سبق فإنّ تحدّيات كثيرة تواجه الباحث في العلوم الإنسانيّة خلال عمليّة التصنيف؛ إذ من الصعب تحقيق الموضوعية الكاملة خلالها بسبب تأثّر الباحث ومواقفه الشخصيّة. ومن جهة أخرى فإنّ تحقيق التصنيف العلمي المثالي أمر صعب في العلوم الإنسانيّة لأنّها ترتبط ببعضها البعض فالنقد الأدبي مثلا يرتبط بعلم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا والتاريخ وغيره . غير أنّ الجهة المضيئة في موضوع العلاقة بين التصنيف والعلوم الإنسانيّة هو أنّ الباحثين يمكنهم أن يستفيدوا لوضع تصنيفاتهم المختلفة من التفاعل بين الموضوعيّة والذاتية لفهم أفضل للظواهر الإنسانية؛ فالعلوم الإنسانية تسعى منذ ظهورها لتحقيق معرفة علمية مشابهة للعلوم الطبيعية.

1 – 2 – دور التصنيف وأهمّيته في العلوم الإنسانيّة:

والحقيقة هي أنّ التصنيف يلعب دورا مهما في دراسة الثقافات والآداب المختلفة وسنشير فيما يأتي إلى بعض النقاط المهمّة عن ذلك الدور:

أ– تنظيم المعرفة: يساعد التصنيف في تنظيم المعرفة حول الثقافات المختلفة. من خلال تصنيف العناصر والمفاهيم، يمكننا فهم العلاقات بينها وتجميعها بشكل منطقي.

ب– التفاعل والتبادل: يمكن للتصنيف أن يكشف عن التقاطعات والميول والاهتمامات المشتركة بين أفراد المجتمعات المختلفة. هذا يساعد في تعزيز التفاهم والتبادل الثقافي.

ت– الحفاظ على التراث والهوية: يساهم التصنيف في تشكيل الطابع القومي والتراث الذي يميز أبناء المجتمع عن غيرهم. يعكس التصنيف الهوية الثقافية ويساهم في الحفاظ على التراث.

ث– تمكين الكيان الاجتماعي: من خلال تصنيف الثقافات، يمكن تعزيز التماسك الاجتماعي وتعزيز الانتماء للمجتمعات المختلفة. وباختصار، التصنيف يسهم في فهم الثقافات المختلفة وتنظيم المعرفة حولها، ممّا يساعد في تعزيز التفاهم والتبادل الثقافي.

الفصل الثاني:

1- الحكاية الشعبيّة ومسألة التصنيف الأدبي:

1 – 1 – المفهوم الاصطلاحي لمصطلح التصنيف الأدبي

1 – 2 – المفهوم الاصطلاحي لمصطلح الحكاية الشعبيّة

1 – 3- صعوبات بارزة في مجال دراسة الحكايات الشعبيّة:

1- 3 – 1- صعوبة ترتيب الحكايات الشعبيّة

1 -3 – 2- صعوبة تجنيس الحكايات الشعبيّة

1- 3 – 3- صعوبة تصنيف الحكايات الشعبيّة

2- بداية تاريخ الاهتمام بالحكايات الشعبيّة

3- الحكايات الشعبيّة ومسألة التصنيف:

3-1- التصنيفات الغربيّة

3-2- التصنيفات العربيّة

1- الحكاية الشعبيّة ومسألة التصنيف الأدبي:

1 – 1 – المفهوم الاصطلاحي لمصطلح التصنيف الأدبي:

إنّ أبسط تعريف للتصنيف الأدبي في الاصطلاح هو أنّه "طريقة تنظيم الأعمال الأدبيّة حسب خصائص معيّنة مثل الشكل والأسلوب والمحتوى والغرض. ويرى كثير من الدارسين أنّ التصنيف الأدبي أداة مهمّة للقرّاء والكتّاب والنقّاد لفهم وتحليل الأدب بشكل أفضل"[1]. ومنه نستخرج المعطيات المعرفيّة الآتيّة وهي أنّ:

- التصنيف الأدبي طريقة أو تقنية أو آلية ضمن مجموعة من الطرائق والآليات العلميّة.
- الهدف من التصنيف الأدبي هو تنظيم الأعمال الأدبيّة لفهمها فهما جيّدا.
- يراعى خلال عمليات التصنيف الأدبي: الشكل – الأسلوب – المحتوى – الغرض.
- الفئات المستفيدة من عمليات التصنيف الأدبي هم القرّاء والكتّاب والنقّاد.

1 – 2 – المفهوم الاصطلاحي لمصطلح الحكاية الشعبيّة:

أمّا مصطلح حكاية فهو لفظ مشتق في اللغة العربيّة من الحكي؛ فقد جاء في لسان العرب "الحكي: كقولك حكيت فلانا وحاكيته، فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله، و حكيت عنه الحديث حكاية، وحكوت عنه حديثا في معنى حكيته وفي حديث ما سرني أني حكيت فلانا وأن لي كذا أو كذا أي فعلت مثل فعله"[2]. وقد جاء في الصحاح للجوهري: "حكيت عنه الكلام حكاية، وحكايته إذا فعلت مثل فعله وهيئته"[3].

أمّا في الاصطلاح فتعتبر الحكاية الشعبيّة إبداعا أدبيا ينتقل من جيل إلى آخر شفهيا، فنجد تعريفات للحكاية الشعبية ومن جملة ذلك ما أوردته: روزلين ليلي قريش، حيث عرفتها بقولها: "الحكاية هي التي تتعلق بمكان واقعي أو أشخاص حقيقيين نقلت بالتواتر من جيل إلى جيل"[4]. فهي إبداع ولد من رحم أحاسيس الناس ومشاعرهم وهي حصيلة التجارب الفردية أو الجماعية فغايتها أخلاقية قائمة على أحداث الحياة اليومية الواقعية.

وتعرّف "**نبيلة ابراهيم**" الحكاية الشعبيّة بعد رجوعها إلى المعاجم الأجنبية بقولها: "أما المعاجم الألمانية فتعرفها: "بأنها الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية عن جيل لآخر ،أو هي خلق حر للخيال

1- هناك تعريفات كثيرة للتصنيف الأدبي غير أنّ التعريف الموجود في موسوعة ويكيبيديا على محرّك البحث غوغل الذي زرته يوم الخميس 2023/02/12 ورابطه: https://ar.wikipedia.org/wiki من أبسط التعريفات التي يمكن الاعتماد عليها في البحث.
2- ابن منظور، لسان العرب ، مادة (حكى)، ص 690.
3- اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة والصحاح العربية، المجلد 6، دار العلم للملايين، ط4، 1990، ص2317
4- روزلين ليلي قريش، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، د/تا، الجزائر

الشعبي ينسجه حول حوادث مهمة وشخص ومواقع تاريخية"[1]. وأما المعاجم الإنجليزية فتعرفها بأنها: "حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة وهي تتطور مع العصور وتتداول شفاهيا،كما أنها قد تختص بالحوادث التاريخية الصرف أو بالأبطال الذين يصنعون التاريخ" [2].

أما "**عبد الحميد بورايو**" فيعرّف الحكاية الشعبية بقوله أنّها:"أثر قصصي ينتقل مشافهة أساسا، يكون نثريا يروي أحداثا خيالية لا يعتقد راويها ومتلقيها في حدوثها الفعلي، وتنسب عادة لبشر وحيوانات وكائنات خارقة تهدف إلى التسلية وتزجيه الوقت والعبرة " [3]. وقد ركز "بورايو" على العبرة التي تهدف إليها الحكاية في مقصديتها الرمزية التعليمية الهادية خاصة وأنها تلقى أو توجه للصغار .

ولم تخرج الدكتورة "**نبيلة ابراهيم**" في تعريفها المعتمد على المعاجم الأجنبية (الألمانية والإنجليزية) على التعريفات الأخرى، فهذان التعريفان يتفقان في كون الحكاية الشعبية قصة من نسج الخيال وتدور حول حدث مهم ويكون في أغلب الأحيان حدث تاريخي أو واقعي أو اجتماعي، فيستمتع الشعب بروايتها والاستماع إليها ويكمن ذلك في أنها تتناقلها الأجيال جيلا عن جيل عن طريق الرواية الشفوية.

إلّا أن "**المعاجم الألمانية** "كانت أكثر دقّة في وصف المحتوى القصدي للحكايات الشعبية، حيث ركزت على الخلق الحر وهو الإبداع الفكري للإنسان وربطت ذلك بالأحداث التاريخية والشخوص المهمة وهي بالتالي تعلى من شأن الحكايات لأنها ترى فيها إبداع خلاق وتاريخ متعلق بالأشخاص والمجتمعات. أما "**المعاجم الإنجليزية**" فحقرت من شأنها إذا اعتبرت أن المقصد هو الظاهر الخرافي للحكايات التي اعتقدت بتصديقه من طرف الشعب وهي بالتالي الفكر الشعبي وتجعله في الصورة الساذجة.

وفي الأخير، يمكن أن نلمس أنّ الرابط الجامع بين هذه التعريفات هو أنّ الشعب هو المبدع والمتلقي معا لهذا "**الناتج السردي القصصي**" أي **الحكاية الشعبية** " التي تعتبر الرواية الشفاهيّة الركيزة الأساسية لها. وبهذا تكون الحكاية الشعبية من إبداع الخيال الشعبي حيث تتجلى فيها حكمة الشعب ونتاج ممارساته الحياتيّة.

1 – 3– صعوبات بارزة في مجال دراسة الحكايات الشعبيّة:

منذ أن قام "الأخوان جريم" الرائدان في مجال جمع ودراسة الحكايات الشعبيّة في ألمانيا خلال القرون الماضيّة ومنذ أن قام "مكسيم جوركي" في روسيا إلى جانب بعض المحاولات الأخرى في مختلف أرجاء العالم أهمها "دراسة

1- نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، مصر للطبع والنشر، القاهرة، د/ط، د/تا، ص 91
2- نبيلة ابراهيم، المرجع السابق، ص92
3- عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، طبعة 2006م، ص 185

"الفولكلور: قضاياه خرائطه" للباحث الروسي "يوري سوكولوف"؛ الذي يعدّ بحقّ من الأوائل الباحثين في العالم الذين أثاروا قضايا مثيرة تتعلّق بدراسة الحكي الشعبي عموما ومنها قضيّة ترتيب الحكايات وتجنيسها وتصنيفها.

1- 3- 1- صعوبة ترتيب الحكايات الشعبيّة:

إنّ ترتيب الحكايات من المسائل المعقّدة التي أثيرت في غمرة الاهتمام بالفلكلور خلال عصر النهضة الأوروبيّة الذي جُمعت فيه الحكايات من مختلف أنحاء العالم بحثا عن الحكاية الأصل التي تتماشى وتطلّعات الجنس البشري الأنقى والأصفى، اعتقادا من الباحثين آنذاك، أنّ الحصول على الحكاية الأصل أو الحكاية الأم يمكِّنهم من تحديد مختلف التفرّعات التي انبثقت عنها في العالم بأكمله.

وقد تزامن البحث عن الحكاية الأصل أو الأم خلال عصر النهضة الأوروبيّة بروز التوهّج الرومانسي والنظرية العنصرية التي تقول بنقاء الجنس البشري الجرماني كأرقى جنس بشري في العالم. لذا كان الجهد آنذاك مضنيا ومعقّدا ولا يخلو من سقطات لانصبابه على جمع الحكايات من الشرق والغرب بحثا عن النواة الأولى ضمن أنوية من ثقافات مختلفة وهو الأمر الذي تطلّب جهدا علميّا كبيرا ولكن مزالقه كانت كثيرة وخطيرة.

1- 3- 2- صعوبة تجنيس الحكايات الشعبيّة:

إن تجنيس الحكاية الشعبية موضوع أثار اهتمام الباحثين والأدباء على حد سواء. وذلك لاشتراك السرد القصصي الشعبي عموما في مجموعة من الخصائص وهو الأمر الذي جعل وضع نصّ قصصي شعبي ضمن جنس الحكاية الشعبيّة ليس بالأمر السهل على الإطلاق.

فالحكاية الشعبية مثلا تشترك مع الحكاية الخرافية في أنهما نوعان من حكايات القصص الشعبي؛ فمثلما لديهما فروق مميّزة فلهما نقاط تلاقي مهمّة تصعّب عمليّة تجنيس نصوصهما ضمن هذا الجنس أو ذاك. فالبطل في الحكاية الخرافية والحكاية الشعبيّة يمكن أن يكون من أصل نبيل ويتمتّع بقدرات خارقة. كما أنه قد يكون في كليهما ولو بشكل نسبي ومتفاوت من عامّة الشعب. وقد تشترك موضوعاتهما في ارتباطهما بمشكلات الحياة اليوميّة ولو أنها في الحكايات الشعبية أكثر. كما أنّ العناصر السحرية تطغى على تفاصيل الحكاية الخرافية وهذا لا يمنع من وجودها في الحكايات الشعبيّة ولو بشكل أقلّ. وفي النهاية يمكن للحكاية الخرافية أن تتحوّل إلى حكاية شعبية والفارق يكمن في الهدف والتوجيه الذي تحمله كل منهما.

1- 3- 3- صعوبة تصنيف الحكايات الشعبيّة:

ولعلّ أبرز مسألة اعترضت مجال دراسة الحكاية الشعبي هي مسألة التصنيف؛ فبعد أن أخذت الحكاية الشعبيّة حيّزا كبيرا من اهتمام دارسي الفولكلور لما يميّزها عن باقي صنوف الأدب الشعبي اعترضتهم عدّة مسائل في هذا المجال كمسألة التشابه والاختلاف الملحوظ بين النصوص الحكائيّة الشعبية ومسألة الأصل المشترك ومسألة نشأتها وأصولها غير أنّ أبرز مسألة اعترضت طريقهم هي مسألة التصنيف.

ويرى أنوار أحمد محمد سالم السلامي وآخرون[1] أن أسباب ظهور إشكالية التصنيف في دراسة الحكايات الشعبيّة قد يعود إلى تنوّع البيئات الثقافيّة التي تنشأ فيها الحكايات وتُتداول ممّا قد يؤدي بفعل عامل الهجرة والاحتكاكات المختلفة إلى نشوء أنواع فرعيّة ونسخ مشابهة وذلك بحسب كل بيئة لغوية وثقافيّة وجغرافية. ضف إلى ذلك عامل الترجمات سواء للمواد الحكائيّة أو للدراسات حولها الذي زاد في صعوبة تصنيف الحكايات وجعله عقبة تتحدّى جهد الباحثين لأنهم يفتقدون إلى حدّ الآن المعايير المضبوطة في ذلك: هل يتم التصنيف على أساس الخطاب والمادّة أو على أساس الشكل والهيكل؟ وهذا ما يدفعنا في الفصل اللاحق إلى تتبّع تاريخ دراسة الحكي الشعبي عموما بحثا عن تاريخ تصنيف الحكايات الشعبيّة غربا وشرقا وأهمّ معاييره وابرز النماذج الموجودة.

2- بداية تاريخ الاهتمام بالحكايات الشعبيّة:

يذهب كثير من الدارسين إلى اعتبار نشأة الحكاية الشعبيّة في العالم ملازم لنشأة الإنسان في العالم ذاته وذلك لأنّ الإنسان عبر التاريخ كائن حكائي بالفطرة؛ فهو يحبّ أن يحكي ويحب أن يستمع إلى الحكي وقد يفهم بالحكي ويعتبر من قصصه حين يستحيل عليه الفهم والاعتبار بغيره من الطرائق والأدوات التفهيميّة والتربوية.

والحكاية في الحقيقة أداة عجيبة لتسجيل الحوادث والمواقف والحالات التي عاشها الإنسان أو شاهدها في حياته عبر العصور. وقد كانت لغة الإنسان في بداية عصر الحكي الشعبي بسيطة مبنية على الصور الخيالية البدائيّة، إلّا أن عوامل التغيير تدخّلت في حكيه فأبعدته عن أصوله القديمة وأخرجته من ميدانه البدائي دون أن يتخلّى عن الحكي طبعا الذي رافقه في رحلة الفرار من واقعه الذي يحياه والذي لا يتلاءم مع رغباته.

فقد استطاع الإنسان أن يخلق حياة أخرى خيالية يجد فيها كلّ ما تطلبه نفسه من متع الحياة سواء مادية أو معنوية، وخلق من خلال حكاياته الشعبيّة شخوصا مثالية ومجتمعا يتّصف باليسر والبهجة والمثل العليا وغالبا ما تنتهي هذه الحكايات بنهاية مفرحة يحقق فيها البطل ما كان يصبو إليه من أمان مقابل إخفاق عدوه الظالم .

1- أنوار أحمد محمد سالم السلامي وآخرون، أنواع الحكاية الشعبيّة ووظائفها وإشكالية تصنيفها، مجلّة فصل الخطاب، المجلّد 10 عدد 02، 2021، ص 282.

فحكايات الإنسان الشعبي تملأ واقعه بالأمل مقابل الآلام والشقاء والبؤس الذي يعيشه بفعل المتغيّرات الجديدة؛ فلم تقتصر حكاياته على تصوير الخيال والأحلام بل أصبحت وسيلة للتعبير عن آرائه في الحياة خصوصا عندما تنعدم حرية التعبير كما صارت وسيلة للانتقاد الأخلاقي بطريقة رمزية بقصد الإصلاح والإرشاد.

وللحكايات وظائف أخرى ولكن بعيدة المدى تتمثّل في حفظ ونقل الحوادث التاريخية القديمة وتخليد أسماء الأجداد الغابرين وذكر مآثرهم وعوائدهم وتقاليدهم وقيمهم وما فعلوه في التاريخ الغابر. فالحكاية بهذه الصورة تحمل في تفاصيلها معلومات تاريخية قديمة قد يستفيد منها الباحث في معرفة قيم وتاريخ ومرتكزات الأجيال السابقة وتعريف الأجيال اللاحقة بها. دون أن نغفل أنّ الحكايات الشعبيّة قد يدخل عليها بعض التحويل والتغيير وذلك بتغيير المواقف والآراء نتيجة انتقالها عن طريق الرواية المتداولة شفويا عبر الأجيال.

وهناك من الدارسين من يذهب إلى أنّ أوّل من اهتمّ بالحكاية الشعبيّة هو الأديب "الفرنسي (مونتان) MONTAGNE، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن السادس عشر. فقد كان يفضل الحديث الشعبي على الحديث الكلاسيكي الذي كان عنوان العصر آنذاك وحديث الأدباء، فقال: **إن الحديث الذي أحبّه هو الحديث البسيط الساذج الذي يتميّز بالعذوبة والرقة والذي يبتعد عن الخطابة بقدر الإمكان ويمتاز بقصره وبلاغة تعبيره سواء كان هذا الحديث شفهيا أو مكتوبا**"[1].

فكان (مونتان) يجمع الشواهد الشعبيّة ويقوم بتسجيلها أثناء اتصالاته الكثيرة بالأوساط الشعبيّة التي كان يتردّد عليها في عصره الذي كان يفرق بين الطبقات ولم تقتصر جهوده على معرفة أبناء الشعب فحسب بل امتدت إلى أجناس كانت غريبة جدا في ذلك الوقت، حيث اهتم بصفة خاصة بأسلوب حياة الشعب اليومية وطرق معيشته ومآكله. وهذه التفاصيل ساعدته في وظيفته كحاكم مدينة (بوردو) bordeaux.

و بالتالي فـ"**مونتان**" أديب واسع الإطلاع بعيد النظر، فقد كان يسبق العصر الذي كان يعيش فيه، حيث أن آراءه الجديدة هذه لم تلق التربة الصالحة لتنضج وتنمو بل اختنقت في المهد، حيث أن معارضيه كانوا له بالمرصاد وتغلبت آراءهم التي كانت تدعو إلى المحافظة على القديم ومحاربة الجديد في هذا الميدان الأدبي وبموته ماتت كل عناية بالأدب الشعبي .

وظلّ الأمر على هذا النحو حتى العصر الكلاسيكي، حيث أتى (**موليير**) MOLiERE ليبعث من جديد هذه العناية والاهتمام، حيث كان يفضل هو الآخر "الحديث البسيط" فاتخذ طريقة كانت تسمح له بالتعبير الحر وتمكنه من مخاطبة الجماهير والاتصال بها، وقد ألّف ملهاة بعنوان "**كاره البشر**". وقد كان موليير بآرائه هذه مخالفا

1- روزلين ليلى قريش، مرجع مذكور، ص 14

لاتجاه عصره الثقافي، إذا كان الأدب كله يكتب للطبقات الخاصة وكان إنتاجها خاضعا لقواعد معينة تبعد عن التعبير البسيط الذي يتسم به الأدب الشعبي عامّة .

بالإضافة إلى ذلك،كانت الملكية المطلقة la monarchique absolu تحافظ على تلك القواعد الكلاسيكية وتحارب كل جديد لتبقي الأدب الفرنسي ملتزما بهذا الأسلوب ومصطبغا بالصبغة الكلاسيكية التي لا تشجع على العناية بالأدب الشعبي.

وهناك من يرى إن الفضل في أوّل محاولة تهدف إلى العناية بالحكي الشعبي حقيقة، إنما يرجع إلى الأدباء "**الإنجليز**"؛ حيث نجد "**اديسون**" ADDISON في العصر الكلاسيكي الذي كان يهتم بالقصة الشعرية لتحتلّ الصدارة بعدما نشرها (**اديسون**) في دوريته "المشاهد" SPECTATOR وتأثر بها أدباء آخرون.

وقد ظهر في "انكلترا" تيار أدبي قوي أدّى بالأدباء الإنكليز إلى العناية بالأدب الشعبي القديم في الوقت الذي بلغ العهد الكلاسيكي أوجه في "فرنسا" وأثر في الأوساط الأدبية الأوروبية الأخرى. أما التيار "**الإنجليزي** " "فوجه الأنظار إلى البحث عن الأصول الشعبية من خلال الأشعار والقصص البطولية التي ساعد التيار الليبرالي على ازدهارها. وبالإضافة إلى الروح الجديدة التي خلقها "**شكسبير**" فقد عملت ضد القواعد الكلاسيكية فلعب هذا التيار الأدبي دورا هاما في تقوية الشعور القومي بالأساطير الشعبية التي تروي البطولات القديمة[1].

وفي أوائل القرن التاسع عشر، أدت الثورة الفرنسية والليبرالية الإنجليزية ثم الاكتشافات العلمية إلى خلق أزمة نفسية حرمت الروح الأوروبية من علاقاتها التقليدية وسببت تغيرات في الحياة واضطرابات عاطفية وكانت انعكاسات الاتجاهات الرومانسية آنذاك، فبدأ الجو يتجدد وحاولت الشعوب أن تستقر على الأوضاع الجديدة فتفتحت النفوس وتسربت الأفكار الجديدة في كل مكان.

أمّا الروح الجديدة التي ظهرت آنذاك، فيمكن أن تُسمى بالروح القومية الشعبية وكانت تضر بالروح الأوروبية القديمة؛ تلك الروح التي كانت تقاوم "**الحديث البسيط**" بقوة شديدة في القرن السابق، وكان الاتجاه الجديد في العلم والأدب هو الكشف عن المثير للإعجاب، فأخذوا ما يأتي من "اليونان والرومان" وكان للأساطير الخرافية رواجا كبيرا مما أدى إلى ظهور نصوص مزيفة. وقد بدأت هذه الحركة الجديدة في "**ألمانيا**"حوالي النصف الثاني من القرن الثامن عشر، حيث أدت إلى عناية كبيرة بالأدب الشعبي وبلغت درجة أعلى في الحدة نظرا لما كانت تقصد من إبراز الشخصية الألمانية الأصلية.

1- المرجع السابق، ص18

وفي طليعة الذين تأثروا بالتيار الجديد المذكزر سلفا نجد "هردر" HERDER، الذي قد وضع اللبنة الأولى في العناية بالأدب الشعبي، وكان مولعا بالبحث عن الأصول والتعابير البدائية والحقيقة الإنسانية حيث كان ينظر إلى اللغة كتعبير خارجي لروح الإنسان، فبث الروح القومية في الأدب وهو الأول الذي وجه الأدباء إلى المؤلفات الشعبية الوطنية، فكان يعتبر الروح الشعبية ينبوع كل خصب و لهذا لم يقف في بحثه عن التقاليد الألمانية فأخذ يعيد كتابة "قصص اسبانية قديمة" وأدخلها في شكل القصص البطولي.

وهكذا يأتي "**هردر** " بعد الأدباء **الأنجليز** " ليفتح أبوابا واسعة أمام الباحثين للعناية بالأدب الشعبي، كما نجد ما كتبه "**الأخوان جريم** LES FRERES GRIMM اللذان خصصا أبحاثا هامة لأسرار اللغة والدراسات اللغوية بالاعتماد على الوثائق الأدبية القديمة، لكنهما اخترعا منهجا خاصا يجمع المواد الأدبية الشعبية الشفوية؛ والجدير بالذكر هو أنهما حافظا إلى حد كبير على الروايات الشعبية وبذلك قد أغنيا القصة الشعبية بفصاحة اللغة وروعة الأسلوب فجعلاها قادرة على الانتشار في جميع أنحاء البلاد ولدى الطبقات المثقفة بواسطة الكتابة عندما حرراها من قيود اللغات المحلية وهكذا أوجد "**الأخوان جريم** " فنّا جديدا في الأدب ومازال كتابهما "قصص حول الجنيات للبيوت والأطفال " مرجعا يطلع عليه حتى يومنا هذا.

أما العناية بالأدب الشعبي على الصعيد العربي، "فقد مرت بمرحلتين وربما يجوز لنا أن نسمي **المرحلة الأولى** بمرحلة الريادة والتدوين والمرحلة الثانية التي بدأت منذ فترة لا يزيد عمرها على أربعين سنة بمرحلة الأبحاث والدراسات التي عالجها ولا يزال يعالجها الكثيرون"[1].

أما في "**العصر الوسيط**" فأصبح تدوين الأدب الشفاهي يشتمل على شواهد عربية وغير عربية نتيجة امتزاج الحضارة العربية بغيرها من الحضارات الأخرى أثناء الفتح الإسلامي، مما خلق بيئة جديدة لعب فيها العامل الديني دورا هاما أدّى إلى ظهور ثقافة جامعة تعرف اليوم بالثقافة العربية الإسلامية وأهم الكتب التي تدخل في نطاق تدوين الأدب الشفاهي في هذه الفترة التاريخية السير الشعبية الكبيرة "كسيرة بني هلال الكبرى وسيرة سيف بن ذي يزن وسيرة عنترة وخاصة كتاب "**ألف ليلة وليلة**" الذي يمثل زبدة الثقافة العربية الإسلامية في العصر العباسي في شكل "**القصة الشعبية الحقيقية** " لأنها تمثل ما يوافق ذوق الجماعة في وقت من الأوقات.

1 - المرجع السابق، ص19

وهكذا نجد أن العرب قد احتفظوا على مر العصور بتراث أدبي شعبي عظيم يمثل مصادر أساسية يعتمد عليها الباحثون في شتى دراساتهم الأدبية والعلمية ومن أهم مظاهر التراث الشعبي القصة الشعبية التي تأخذ جذورها من تاريخ الأمة العربية و أدبها الأصيل.

3- الحكايات الشعبيّة ومسألة التصنيف:

تعد عملية التصنيف التي تأتي عادة في مقدمة عمليات التوثيق، عمليّة مهمّة في مسار دراسة أي ظاهرة دراسة علميّة. وهو بشكل عام خطوة ومبدأ عام لترتيب الأشياء في نظام منطقي وفقا لدرجات التشابه ثم توضع في مجاميع تسهل الوصول إليها. ولأن المجاميع لا تقف منعزلة عن بعضها فإن نظم التصنيف يجب أن تكشف عن العلاقات التي تربط بين المجموعات المتباينة المصنفة، وإذا كانت نظم التصنيف تنطلق من مفاهيم عامة قد تشترك فيها النظم المختلفة، فإنها تختلف عن بعضها في أمرين:

- في المعيار الذي تعتمد عليه في الانطلاق.
- وفي درجة التوثيق المرفق بالمادة، والتي ترتبط بالغرض من التصنيف.

وقد ارتبطت مناهج تصنيف علم الفولكلور ومواده خلال نصف القرن الماضي بعدة اتجاهات اختلفت باختلاف الهدف من التصنيف. وتنحصر تلك الأهداف إما بغرض عمل قواعد معلومات عامة يدخل الفولكلور كقسم أو كفرع فيها، أو بغرض التصنيف المكتبي لعلوم المعرفة البشرية.

أمّا التصنيفات المتخصصة في العلم والتي وضعها رواد الفولكلور فقد جاءت إما بغرض التعريف بالعلم وموضوعاته أو إعداد أدلة الجمع الميداني للفولكلور؛ وهي الرافد الأكبر لعمليات التصنيف. يضاف إلى ذلك العديد من التصنيفات التي ارتبطت بإجراء أبحاث علمية في موضوع محدد مما جعل صاحب التصنيف يطرح رؤيته لهذا الموضوع. وسنحاول في الجزء التالي قراءة تلك الاتجاهات المنهجية.

والحقيقة هي أنّه إذا ما استعرضنا خارطة الأدب الشعبي، فإنّنا سنجد أن القصص الشعبي أبرز وأهم معلم من معالمها الكبرى، والمعلوم هو أنّ القصص الشعبي يتميّز بالكثرة والتنوع وهو ما جعله يعاني من الاضطرابات في عمليّة الجمع والترتيب والحفظ وكذلك التصنيف بالدرجة الأولى.

وذلك لأنّ الحكاية الشعبية تشترك مع السيرة الشعبية في الأصل الشفاهي وتختلفان في عنصر الطول المميز للسير الشعبية التي قد تطول لتكوّن متونها آلاف الصفحات. ونجد عند بعض الباحثين العرب المعاصرين خلطاً

ولبساً واضحين في تحديد مصطلحي "سيرة شعبية" و"حكاية شعبية"؛ فقد أطلق فؤاد حسنين علي تسمية "القصص الشعبي" على الحكاية الشعبية والسيرة الشعبية وخصّ السيرة الشعبية بأنها "قصص إسلامي"[1].

كما قام "عبد الحميد يونس" بإطلاق تسمية "حكاية شعبية طويلة" على السير الشعبية وعدّ مصطلح "حكاية شعبية" مصطلحا جامعا لأنواع سردية متنوعة تستوعب أنماطا متفاوتة وتستهدف وظائف منوّعة منها الأسطورة وحكاية الحيوان وحكاية الجان والسير الشعبية العربية وحكاية الشطار والحكاية المرحة وحكاية الألغاز[2] .

وبناء عليه، فإنّ صعوبة التصنيف قد تأتي من التداخل بين الأنواع القصصية وقد تأتي من كثرة جزيئات القصص الشعبي أو من تداخل تفاصيله؛ وهو الأمر الذي أدّى إلى عدم اتفاق الدارسين والباحثين حول المبادئ والمعايير الرئيسة المعتمدة في عملية تصنيفه، "فالتصنيف الصائب هو أحد الخطوات الأولى في الوصف العلمي. كما أن دقّة الدراسة اللّاحقة رهينة بدقة التصنيف[3]. **وعليه فما هي أشهر التصنيفات الغربيّة والعربيّة التي طرحت بشدّة على مستوى دراسة الحكايات الشعبيّة؟**

3- 1- التصنيفات الغربيّة:

3-1- 1- تصنيف :أنتي أرني

أنتي أرني (Antti Aarne)، وهو عالم فولكلور فنلندي وُلد في 5 ديسمبر 1867م وتوفي في 2 فبراير 1925م. كما أنّه هو الذي وضع أسس المدرسة الفنلندية المشهورة في دراسة الفولكلور بشكل عام وفي دراسة الحكايات الشعبية بشكل خاصّ.

اشتهر "آرني" مع زميله الأمريكي "ستيث تومسون" بتطوير نظام تصنيف للحكايات الشعبية يُعرف باسم مؤشر أرني- تومسون، والذي تم تسميته بذلك نسبة إلى الترجمة الإنجليزية والتوسعة اللاحقة المشتركة بين العالمين. ويُستخدم هذا النظام في تصنيف الحكايات الشعبية وقد نُشر لأول مرة في عام 1910م.

وتصنيف **أنتي أرني** عبارة عن نظام تصنيف دولي اجترحه العالم "**الفنلندي أنتي أرني**" –كما ذكرنا سلفا – في كتابه الشهير THE TYPE IN DEX OFF OLKTABLES الذي يعتمد على ست (06) أنماط أو طرز للحكايات. ويُعد من أهم التصنيفات التي حُظيت بشهرة عالميّة واسعة لاحتواء الكتاب على 2411 نمطا قصصيا فضلا عن قائمة ضخمة من المراجع وأمام كل مرجع الأنماط الخاصة به والموجودة في التصنيف.

---

1 – فؤاد حسنين علي، قصصنا الشعبي، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، 1974، صص: 44_70 1.

2- عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ط 1، 1968، ص10

3-.A.A ARNE THE TYPE OF THE FOLKTOLE ACLASSIFICATION AND BIBLIOGROPHY –TRASLATED AND ENLARGED BYS ? THONPSON SE COND R2VISION .HLSINKI 1981,p35

يقوم هذا التصنيف على حصر الأنماط القصصية قدر الإمكان وتحليل كل نمط إلى موتيفاته، معطيا لكل تلخيص رقما يميزه وفقا لأسلوب التصنيف الذي يعتمد على ما يأتي:

- تحديد طبيعة الحكايات طبقا لمحتواها الموضوعي
- ترقيمها بعد ذلك تحت الباب الذي تنتمي إليه.
- يعتمد التبويب في الأغلب الأعم على شخصيات الحكاية لا على طبيعة الأحداث.
- تُحمّل الحكايات في الفهرس وتُعطى أرقاما يشير إليها دارسوا الحكايات الشعبية في دراستهم لنمط معين من أنماط هذه الحكايات[1].

غير أنّ هذا التصنيف رغم شهرته إلّا أنّ لم يخل من الانتقادات كاقتصاره على الحكايات الهندو – أوروبية فضلا عن قصور تمّت ملاحظته من قبل الدارسين في الفهرس؛ ذلك أن الشخصية تتغير من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى، ولكن الحدث يمكن أن يكون هو الجامع بينها على الرغم من اختلافها تبعا لمجتمعها وثقافتها التي نشأت فيها وهذا ما يجعل التصنيف في رأي كثير من الدارسين بعيدا عن الدقة والشمولية .

3-1-2- تصنيف ستيث تومسون:

وهو ستيث طومسون (7 مارس 1885- 13 يناير 1976)، باحث أمريكي في الفولكلور. يشتهر بكونه جزءا من نظام تصنيف آرني طومسون، وهو نظام لتصنيف الحكايات الشعبية حسب محتواها السردي. ولد طومسون في بلومفيلد الأمركيّة، وهو معروف بعمله أيضا في فهرس الزخارف للأدب الشعبي، وهو مورد رئيسي يفهرس الزخارف أو العناصر الحبيبية للفولكلور.

ويعتبر تصنيف ستيث تومسون هو الآخر من أشهر التصنيفات العالمية التي يحتاج إليها كل باحث في هذا المجال، فقد راجع "تومسون" واستكمل عمل العالم الفنلندي "**أنتي أرني**". ويقوم تصنيف "تومسون" على إنجاز مادة المروي الشعبي للعالم وذلك من خلال جمعه للمادة المروية التي انهمرت من جميع العالم المتمدن. ونتيجة لظهور مادة قصصية ضخمة، برز بالمقابل التشابه البارز في جزيئات القصص أكثر مما برزت القصص نفسها. وعليه أصبح التصنيف يقوم على الموتيف الذي يشكل الأساس المشترك في تصنيف مادة الأدب الشعبي العالمي.

وقد أسفر تصنيف تومسون على ما يلي:

- **حكايات الحيوانات**

1- ويطلق عليها أيضا لفظا الجزيئية أو التيته وهي أصغر عنصر يمكن أن يشكل الأساس المشترك في تصنيف مادة الأدب الشعبي العالمي كما أنها العناصر المكونة للفقه الشعبية والتي تظل تلازمها.

- **الحكايات الخرافية**
- **الحكايات الدينية**
- **الحكايات الخيالية**
- **حكايات اللصوص وقطاع الطرق**
- **وحكايات العفريت المخدوع**
- **نكت وحكايات هزلية**
- **حكايات هزلية عن الرهبان**
- **حكايات الأكاذيب**
- **حكايات المغامرات**
- **حكايات الحيل والخداع**
- **حكايات غير مصنّفة**[1].

ويهدف "**تومسون**" إلى ترتيب العناصر التي تلون التراث الأدبي المروي في تصنيف منطقي واحد؛ فالقصص التي تشكل جزءا من الموروث تجد مكانها في التصنيف: فالقصة الشعبية والأسطورة والأغنية الشعبية والخرافة ورمنسيات العصور والعبر والفكاهات وغيرها، كلّ ذلك يرد في التصنيف؛ سواء أكان شعبيا أم لا، ما دام يشكّل مرويا حقيقيا[2].

3-1- 3- تصنيف فريدريش فون دير لاين:

لقد أولى الباحث الفلكلوري " فريدريش " (Leyen, Friedrich von der) (1873-1966) عناية خاصة بالمميزات الشكلية للقصص الشعبي واعتبرها خصائص ثانية يمكن اعتمادها كأساس لتصنيف المادة القصصية؛ حيث يقول: "هذا الإحساس بالشكل أي بالسعي وراء نظام محدد في التفصيلات يخضع لقواعد محددة ولا يشمل الحكاية الخرافية أو رغم أدبائها المشهورين في عالم الأدب وغيرهم من المجهولين في الأوساط الشعبية كما أرغم القصص جميعا أن يحترموا هذه القواعد"[3].

1-S.THOMPSON MOTIF INDEX OF FOLK –LITERATURE 1-6 VOLUME 1 ?COPENHGEN BLARINGLOON 1955.1958 ,p9
2 -s.thompson motif. Index of folkliteratine volume 1p10
3- فريدريش فون دير لاين، الحكاية الخزافية، تر ابراهيم نبيلة، دار النهضة، مصر، القاهرة 1965، ص125.

ف"**فريدريش فان ديرلاين**" اهتمّ بالجانب الشكلي في الحكايات الشعبيّة على أهميته وأقصى من مجال اهتمامه عنصر المحتوى على أهميته هو الآخر؛ وهو ما يجعل مثل هذه التصنيفات الأحادية النظرة – في رأي بعض الدارسين – قاصرة عن الخروج بنتائج دقيقة في مجال دراسة الأدب الشعبي عموما والحكايات الشعبيّة خصوصا.

3– 2– التصنيفات العربيّة:

يحتل موضوع التصنيف مكانة مميزة في الدراسات الشعبيّة على الصعيد العربي وهو يختلف باختلاف خطط التصنيف كما يختلف من ناحية وظيفة الخطة الموضوعة للدراسات. وعلى سبيل المثال نجد أن موضوع الفولكلور ورد في مكنز جامعة الدول العربية[1] ضمن قسم الثقافة (تحت رقم 14) ويتفرع عنه 11 موضوعاً فرعيا حول:

- الحضارة والتطور الثقافي
- التراث الثقافي والسياسة الثقافية
- الإبداع الثقافي واللغات
- المطبوعات والتوثيق
- الترفيه
- الديانات.

ويقع موضوع الفولكلور ضمن القسم الفرعي «التراث الثقافي»، الذي يشمل بدوره موضوعات:

- الآثار الإسلامية
- الآثار المسيحية
- الأدب الشعبي
- الأغاني الشعبية
- الأناشيد الوطنية
- التاريخ الشفاهي
- التراث الشفاهي
- الفولكلور.

1– مكنز جامعة الدول العربية، مكنز ثلاثي اللغات: العربية، الإنجليزية، الفرنسية / جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، مركز التوثيق والمعلومات، ط1 (العربية)، تونس، 1987، 2مج تمّ تعريبه عن مكنز UNBIS UnitedNation BibliographicSystem

ويعرّف "مكنز الجامعة العربية" في التبصرة التوضيحية الذي أعدّها احتفاء بالفلكلور مصطلح "فولكلور" بأنّه «دراسة كافة المواد المنقولة شفهيا بكافة أنواعها وتجميعها وتصنيفها وتفسيرها». أما الواصفات ذات العلاقة مع مصطلح فولكلور فيحصرها في موضوعات :

- التقاليد الشعبية
- السحر
- علم الأساطير
- الموسيقى الشعبية
- الميثولوجيا الأفريقية.

وقد تتبعنا واصفات أُخر في "مكنز الجامعة" فوجدناها ذات صلة وثيقة بموضوعات الفولكلور، رغم عدم الإشارة لتلك العلاقة صراحة، ومنها:

- التقاليد الشفهية
- التقاليد المكتوبة
- الحكم والأمثال
- الزي – الهدايا
- الحرف اليدوية.

أما تصنيفات الفولكلور في مكنز «أليكسو» فقد جاءت ضمن موضوع الفنون (تحت رقم 3.45) واشتمل موضوعات:

- الآثار الفنية
- الأيقونات
- الفن الديني
- الفن الشعبي
- الفن العامي.

وبناء عليه يمكن ملاحظة أن صعوبة التصنيف ليست حكرا على الحكايات الشعبيّة فحسب وإنّما لحق الخلط والارتباك التصنيفات المتّصلة بالفلكلور والثقافة الشعبية عموما. ولعلّ من أبرز التصنيفات على المستوى العربي ما سنذكره لاحقا:

3-2-1- تصنيف محمد السعيدي:

لقد ذكر الأستاذ "**محمد سعيدي**" عند تنظيره للحكي الشعبي تصنيفين سائدين واعتقد أنهما وجهان لعملة واحدة، هي التصنيف حسب الموضوع وهما:

- **التصنيف الأول**: يعتمد العناصر الداخلية المختلفة كالأبطال والخوارق والجن والحيوان .
- **التصنيف الثاني**: يعتمد عنصر الموضوعات كالحب والإخلاص والكراهية، بالاعتماد على المحاور الكبرى من ذات النزعة الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية.

والملاحظ أنّ هذه التصنيفات – بحسب محمد سعيدي- ذاتية وغير ثابتة، لذا اقترح تصنيفا من اختراعه يرتكز على ما سماه بالتقاطع النصي، وهو تصنيف أثمره التناص الجنسي أو تقاطع جنس الحكاية الشعبية مع أشكال التعبير الشعبي الأخرى،كاللغز والمثل والنكتة، و قد أسفر هذا التقاطع على ظهور نصوص مختلفة امتدت معطياتها الشكلية والدلالية من هذا التناقض الجنسي، فظهرت:

- نصوص حكائية مسلّية
- ونصوص حكائية شعرية
- ونصوص لغزية
- ونصوص حكائية نكتية[1].

3-2-2 – تصنيف عبد الحميد يونس:

أمّا "عبد الحميد يونس" فقد أورد في تصنيفه الأنماط الحكائيّة الآتية:

- حكاية الحيوان
- حكاية الجان
- السيرة الشعبية
- حكايات الشطار
- ،الحكايات المرحة
- الحكايات الاجتماعية
- حكايات الألغاز

1-محمد سعيدي، الدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، 1998م، ص 64

- حكايات الأمثال[1].

والملاحظ على تصنيف "عبد الحميد يونس":

- جمعه بين حكايات الحيوان وحكايات الجان معا؛ معتمدا في ذلك على عنصر الشخصيات التي تستسقي من كليهما.

- اعتماده على الواقع المعيشي فيما يخص الحكايات الاجتماعية

- اعتماده على الجانب المرح والترفيهي في كل من حكايات الشطار المرحة والألغاز.

لكن الملاحظ على تصنيف "عبد الحميد يونس" هو إهماله الجانب البطولي وبالتالي إهماله الحكايات البطولية رغم أهميتها ضمن هذا النمط من أنماط الأدب الشعبي.

3-2-3- تصنيف نبيلة إبراهيم:

في الحقيقة يواجه أي دارس للحكاية الشعبية من أي جهة كانت، إشكالية التصنيف وهذا ليس خفيا وإنما أورده الباحثون في مؤلفاتهم أمثال "نبيلة إبراهيم" و"عبد الحميد بورايو" و"روزولين ليلي قريش" و"سعيدي محمد" وغيرهم؛ حيث أشارت "نبيلة إبراهيم" إلى صعوبة التصنيف لأنه يقوم على أساس المحتوى أو الموضوع ، وأن أحسن تصنيف نوعي هو تصنيف الألماني (فولذت)؛ حيث قسم القصص الشعبية إلى:

- الحكاية اللغز
- الحكاية الشعرية
- الحكاية المثلية
- الحكاية النكتية

والحكاية النكتية هي حكاية قصيرة أو طويلة تحكي نادرة أو مجموعة من النوادر يغلب عليها الطابع الفكاهي والضحك الناتج عن فعالية النكتة الملتصقة عضويا ببعض سلوكيات الناس العادية وتصرفاتهم الهزلية، إنَّ الشخصيات المرحة كثيرا ما توصف بالكذب والحيلة والجنون والغباء والبلادة والسذاجة، صفات تضفي على نص الحكاية طابعا فكاهيا وتحافظ على حيويته النفسية المضحكة وأبعادها الاجتماعية النقدية.

أمّا "**نبيلة إبراهيم**" وبعد مناقشتها للتصنيف السابق أوردت الأنماط الحكائية الآتية:

- حكاية الواقع الأخلاقي
- حكاية الواقع الاجتماعي

1- عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبيّة، مرجع مذكور، ص 201.

- حكاية الواقع السياسي
- حكاية العالم الغيبي
- حكايات المعتقدات
- الحكايات الهزلية.

ومن خلال ما تقدم نجد أن "الأستاذة **"نبيلة إبراهيم"** اعتمدت في تصنيفها للحكايات على الواقع المعيشي والذي قسمته إلى ثلاثة أنواع:

- حكايات الواقع الأخلاقي
- حكايات الواقع الاجتماعي
- حكايات الواقع السياسي

فهي تعكس الوضع السائد بين أفراد المجتمع بالإضافة إلى عالم الغيب والجن والمعتقدات و لم تهمل الجانب الهزلي والفكاهي في الحكايات الهزلية، لكنها أوردت القصص البطولي بمعزل كليا عن الحكاية الشعبية و هذا ما يبدو شاذا نوعا ما في تصنيفها.

3-2 – 4- تصنيف ليلى روزلين قريش:

ليلى روزلين قريش باحثة في الثقافة الشعبيّة وُلدت من عائلة فرنسية سنة 1930م في حي بلكور بالجزائر العاصمة وعملت أستاذة للأدب الشعبي والآداب الأجنبية. وبعد الاستقلال واصلت "روزلين قريش" التدريس في قسم اللغة العربية بجامعة الجزائر؛ حيث أشرفت على كثير من رسائل التخرُّج الجامعية إلى جانب قيامها بأعمال بحثية ودراسات ميدانية في مجال التراث الشعبي الجزائري.

ومن الكتب التي تركتها "ليلى روزلين قريش" نذكر:

- القصة الشعبية ذات الأصل العربي، (2007)
- إستراتيجية القتال في السيرة الهلالية، (2009)
- فهرسة السيرة الهلالية الكبرى،(2010)
- قصص شعبية هلالية، (2012).

وقد اعتمدت هذه الباحثة الجزائرية في تصنيفها لأنماط الحكي الشعبي على ثلاثة عناصر رئيسية:

– حجم القصة الشعبية ،حيث راعت سمة الطول و القصر

– الفكرة الرئيسية التي تدور حولها أحداث القصة

– الشخصيات التي تحرك أحداث القصة الشعبية

و كان تقسيمها كالآتي:

– القصص الطويلة والقصص القصيرة:

– القصص الطويلة:

– قصص البطولة

– قصص الخرافات الشعبية

و تنقسم قصص البطولة إلى:

– قصص بطولة دينية

– قصص بطولة وعظية

– البطولة البدوية

– بطولة حديثة.

أمّا الخرافات الشعبية فقسّمتها إلى:

- خرافات دينية: وتنقسم بدورها إلى:

- خرافة حول شخصيات غير دينية

- خرافة الجن

- الخورفات المحلية.

- أما **القصص القصيرة** فقسمتها إلى:

- قصص التسلية

- قصص التخفيف عن المكبوتات

- قصص ذات مغزى.

ولو تمعنا تصنيف "روزلين قريش" لوجدنا على سبيل المثال أن الباحثة ضمنت القصص القصيرة حكايات ذات معنى و كذلك نجد في القصص الطويلة بعض الحكايات ذات معنى، وهو ما يجعلنا نقول أن هذا التصنيف لا يمكن اعتماده لأن سمة الطول والقصر ليست معيارا في التصنيف العلمي الدقيق.

3-2-5- تصنيف عبد الحميد بورايو :

عبد الحميد بورايو، أستاذ التعليم العالي بجامعة الجزائر2، مختص في الأدب الشعبي، درّس الأدب الشعبي والأنثروبولوجيا والنقد الأدبي، له مقالات في الأدب الشعبي والسرديات منشورة في المجلات الوطنية والعربية. كما له مؤلفات حول الأدب الشعبي الجزائري والسرديات والتحليل السيميائي للنصوص القصصيّة التراثية. له عدّة نشاطات وأبحاث على غرار:

- نشر "عبد الحميد بورايو" عدّة ترجمات لكتب ومقالات في الأنثروبولوجيا وفي السيميائيات.
- كان باحثا متعاونا لسنوات مع المركز الوطني للبحوث في ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ.
- ترأس تحرير مجلة سيميائيات الصادرة عن مخبر العادات والتقاليد الشعبية في تلمسان
- ترأس لجان تحكيم على المستوى الوطني تتعلق بمسابقات التراث الشعبي والرواية.
- عضو لجنتي تحكيم مجلة الآداب الصادرة عن كلية الآداب بجامعة ذِمار باليمن والموروث الشعبي الصادرة عن معهد التراث بالشارقة.

وقد قسم "**بورايو**" القصص الشعبي إلى ثلاثة أنماط رئيسة وهي:

- الحكاية الشعبية
- قصص البطولة
- الحكاية الخرافية.

وتختلف هذه الأنماط وتتمايز في عناصرها الفنية وموضوعاتها وبناء شخوصها وأحداثها بحسب الباحث، ثم قسم **الحكاية الشعبية** إلى:

- حكاية الواقع الاجتماعي
- الحكايات المحلية

وقسم قصص البطولة إلى:

- البطولة البدوية
- قصص الأولياء
- قصص الزهاد
- قصص الخارجين عن القانون
- قصص الثوار

ثم قسّم الحكاية الخرافية إلى:

- الحكاية الخرافية الخالصة
- حكايات الأغوال الغيبية.

نعتقد أن الباحث عبد الحميد **"بورايو"** قد وفق إلى حد كبير في تصنيفه للقصص الشعبي، حيث راعى فيه الخصائص الشكلية دون أن يعزل المحتوى، فقد جمع كل الأشكال في الأنماط الرئيسية الثلاث إلّا أنه فيما يخص الأنماط الفرعية فنجده ضمّن الحكاية الشعبية حكايات محلية، غير أننا نجد هذا النوع أيضا في قصص البطولة والمتمثل في قصص الأولياء وقصص الثوار. كما نلمح غياب القصص القرآني من قصص البطولة رغم وجودها في الميدان بكثرة.

خاتمة استنتاجيّة

خاتمة استنتاجيّة:

لا يسعنا في خاتمة هذا البحث المتواضع إلّا أن نقول ما يأتي من العناصر:

1- لقد أنجزنا بحثنا بصعوبة بليغة وذلك نظرا لضيق الوقت الممنوح للطلبة في طور الماستر لإنجاز مذكّرة علميّة وتلخيص كتاب علمي في آن واحد.

2- لقد لاقينا صعوبة كبيرة في بحثنا في مسألة التصنيف في الحكاية الشعبيّة وهذا راجع لعدّة أسباب نوجزها فيما يأتي:

أ- إنّ مسألة التصنيف في الحكاية الشعبية من المسائل البحثيّة التي لم يكتب فيها الباحثون الذين صادفناهم في مسارنا الدراسي عموما كتبا مستقلّة عن غيرها من المباحث المتصلة بالثقافة الشعبية، تتناول جميع جوانبها بالمتابعة والتأريخ والاستقصاء والمقارنة.

ب- إنّ عدم وجود كتب مستقلّة تتناول بالتفصيل الدقيق مسألة التصنيف تأريخا واستقصاء ومقارنة قد تعود أسبابه – في اعتقادنا- إلى الخلاف الكبير الحاصل حول مسألة التصنيف في حدّ ذاتها، وذلك ربما لخضوعها لذاتيّة الباحثين أو لخضوعها لاستراتيجياتهم البحثيّة أو لخضوعها لخططهم العلميّة المرتبطة بعمليات أخرى لصيقة بالتصنيف كالجمع الميداني والتوثيق العلمي والتحليل الأكاديمي وملامح البحوث.

3- يحتلّ موضوع التصنيف مكانة مميّزة في حقل الدراسات الثقافيّة الشعبيّة على الصعيدين الغربي والعربي وذلك لأنّ التصنيف الصحيح في اعتقاد الدارسين جميعا، يؤدّي بالضرورة إلى التحليل العلمي الدقيق للنصوص الحكائيّة والعكس صحيح بطبيعة الحال.

4- مثلما كان الغرب (أوروبا وأمريكا) سبّاقا للاحتفاء بالثقافة الشعبيّة عموما وبالحكايات الشعبيّة خصوصا، فقد كان سبّاقا أيضا للاهتمام بمسألة التصنيف منذ بدايات الدراسات الشعبيّة من قبل الأخوين "جريم" وممن كان قبلهما أو من جاء بعدهما.

5- ظهر اهتمام دارسي الحكايات الشعبيّة العرب بمسألة التصنيف في وقت متأخّر نسبيا عن اهتمام الغربيين بالمسألة وذلك نتيجة احتكاك المثقفين العرب بالثقافات الغربيّة مؤخّرا فقط، أي خلال العصر الحديث.

6- ونظرا لأنّ اهتمام العرب بمسألة التصنيف جاءهم من ملاحظاتهم لاهتمام الغرب بها فقد انتقل الارتباك والتوتّر الذي ساد التصنيف الغربي للحكايات الشعبيّة وعدم توصّلهم إلى تصنيف بمعايير موحّدة يقبله الجميع إلى

البيئة العلميّة العربية مشرقا ومغربا خلال وضع التصنيفات؛ فبرزت تصنيفات عربية فردية عديدة لا تخلو هي الأخرى من ثغرات مثلها مثل تصنيفات المصدر الغربي.

7- والحقيقة التي يجب أن تقال ونحن بصدد الحديث عن جهود الدارسين العرب بخصوص مسألة التصنيف هي أنّها جهود - رغم طابعها الفردي والذاتي- لا تخلو إطلاقا من الجرأة العلميّة اللازمة للشروع في أي دراسة للحكايات الشعبيّة وذلك لأنّ التصنيف يأتي عادة في مقدّمة أي بحث علمي وخاصة في حقل الثقافة الشعبيّة وبالخص حقل الأدب الشعبي الذي منه الحكايات الشعبيّة.

وتلخيصا لمجمل التصنيفات المذكورة في هذا البحث، فإنّنا يمكن أن نحدّد مجموعة من المعايير المعتمدة بكثرة في التصنيفات وهي على النحو الآتي:

- **المحتوى:** هناك تصنيفات للحكايات بناء على الأحداث والشخصيات والمواضيع التي تتناولها.
- **الوظيفة أو الغرض:** وهناك تصنيفات يُنظر فيها إلى الدور الذي تلعبه الحكاية في المجتمع، مثل التعليم أو التسليّة أو نقل القيم .....
- **الشكل والبنية:** هناك تصنيفات يُراعى فيها تركيب الحكاية وطريقة سردها والأساليب المستخدمة فيها.

الأصل والانتشار: هناك تصنيفات تأخذ بعين الاعتبار عند التصنيف مصدر الحكاية ومدى انتشارها بين الثقافات المختلفة.

- وبناء عليه فإنّ المعايير المذكورة سلفا، تسهم بقسط كبير في فهم الحكايات وتقديم تصنيف مناسب لها، يراعي الخصوصيّة الثقافيّة لميدان الجمع.

بيبليوغرافيا البحث:

– الكتب العربية والمترجمة إلى العربيّة:

1- أحمد بدر، مناهج البحث في علم المكتبات والمعلومات، دار المريخ، الرياض، ط1، 1988م.

2- الإدارة العامة لتصميم وتطوير المناهج، بحوث التسويق المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني، المملكة العربية السعودية، طبعة سنة 1429 هـ.

3- أنوار أحمد محمد سالم السلامي وآخرون، أنواع الحكاية الشعبيّة ووظائفها وإشكالية تصنيفها، مجلّة فصل الخطاب، المجلّد 10 عدد 02، 2021م.

4- الهيئة العامة السورية للكتاب، مختصر التصنيف في المكتبات ونظام ديوي العشري، منشورات وزارة الثقافة، مديرية المراكز الثقافية، دمشق، 2011.

5- ربجي مصطفى عليات ويونس أحمد الشوابكة، مبادئ التصنيف وفق نظام تصنيف ديوي العشري، دار صفار، عمان، ط2 2015م.

6- روزلين ليلي قريش، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، د/تا، ط 3، الجزائر.

7- صباح محمد كلو، نظام تصنيف دوي العشري d d c (دراسة تحليلية تطبيقية)، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الرياض أغسطس، 2000م.

8- عاطف على، المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2006م.

9- عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006م.

10- عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ط 1، 1968م.

11- فريدريش فون دير لاين، الحكاية الخزافية، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار النهضة، مصر، القاهرة، 1965م.

12- فؤاد حسنين علي، قصصنا الشعبي، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1974م.

13- محمد سعيدي، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، 1998م.

14- نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1974م.

15- حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980م.

– الكتب الأجنبية:

16- S.THOMPSON MOTIF INDEX OF FOLK –LITERATURE 1-6 VOLUME 1 ?COPENHGEN BLARINGLOON 1955.1958

– المعاجم:

17- ابن منظورن لسان العرب.

18- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 1، المجلد الثاني، القاهرة، 2008م.

19- اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة والصحاح العربية، المجلد 6، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4 1990م.

20- مجد الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط"، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان الطبعة الثامنة، 2005م.

– المطبوعات البيداغوجيّة:

21- بن داودية وهيبة، منهجية البحث العلمي (مطبوعة في مقياس منهجية البحث العلمي 2016/ 2017)، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة حسيبة بن بوعلين الشلف الجزائر.

22- فوزية زنقوفي، مطبوعة بيداغوجية في مقياس مدارس ومناهج، 2019/2018، كلية العلوم الاجتماعيّة، جامعة قالمة.

– المواقع الإلكترونيّة:

23- عبد الغنى أبو العزم، معجم الغنى، المكتبة الشاملة على محرك البحث غوغل زرته ليلة الخميس 12- 02- 2024: على الرابط http://shamela.ws/index.php/book/3083،

24- فوزي خليل، ملخص تصنيف المعارف والعلوم عبر العصور، في موقع البحث الالكتروني على محرّك البحث غوغل الذي عاينته يوم الأربعاء 2024/01/12 على الساعة 21.03 على الرابط الآتي: www .academia.edu

25- مكنز جامعة الدول العربية، جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، مركز التوثيق والمعلومات، ط1 (العربية)، تونس، 1987 تمّ تعريبه عن مكنز BibliographicSystem UnitedNation UNBIS، موجود على موقع جامعة الدول العربية على محرك البحث غوغل والرابط: http://www.lasportal.org/ar

26 - التصنيف الأدبي، في موسوعة ويكبيديا على محرّك البحث غوغل الذي زرته يوم الخميس 2023/02/12 ورابطه: https://ar.wikipedia.org/wiki

27 - الهندي أنس، ملخص تصنيف المعارف والعلوم عبر العصور، على محرك البحث غوغل الذي زرته يوم الخميس 12- 03- 2023 على الرابط: www .academia.edu

الملخّص

الملخّص باللّغة العربيّة:

تناول هذا البحث مسألة مهمّة في مناهج الدراسات الشعبيّة وهي مسألة تصنيف الحكايات الشعبيّة. وبعد تحديد مفاهيم مصطلحات البحث الرئيسة، قمنا بتتبّع مصطلح التصنيف في علوم المادّة ثم في العلوم الإنسانية وصولا إلى التصنيف الأدبي فالتصنيف في دراسة الحكاية الشعبية شرقا وغربا. أمّا هدفنا من هذا البحث فهو الإحاطة بمسألة التصنيف عموما وبمسألة التصنيف في دراسة الحكايات الشعبيّة خصوصا وتحديد بعض المعايير التي يمكن الارتكاز عليها لفهم الحكايات الشعبيّة فهما علميا دقيقا.

الملخّص باللغة الإنجليزية:

This research dealt with an important issue in the methods of folk studies which is the issue of classification of folk tales. After defining the concepts of the main search terms, we traced the term classification in the material sciences, then in the humanities, up to the literary classification, and the classification in the study of folk tale east and west. Our aim of this research is to take note of the issue of classification in general and the issue of classification in the study of folk tales in particular and to identify some criteria that can be based on to understand folk tales scientifically accurately.

فهرس المحتويات

الفهرس

المقدمة	التعريف بالموضوع والهدف منه	1.....4.
الفصل الأوّل	ضبط مصطلحات البحث الرئيسة: أوّلا – تحديد مفهوم دراسة تاريخية استقصائية مقارنة. 1– تحديد مفهوم دراسة تاريخيّة 2– تحديد مفهوم دراسة استقصائيّة 3– تحديد مفهوم دراسة مقارنة ثانيا – تحديد مفهوم لفظ "تصنيف". 1– لغة 2– اصطلاحا 3– تاريخ التصنيف عند العرب 4– تاريخ التصنيف لدى الغرب ثالثا – التصنيف في العلوم الإنسانيّة. 1– العلاقة بين التصنيف والعلوم الإنسانيّة 2 – دور التصنيف وأهمّيته في العلوم الإنسانيّة.	5.....17
الفصل الثاني	1– الحكاية الشعبيّة ومسألة التصنيف الأدبي: 1 – 1 – المفهوم الاصطلاحي لمصطلح التصنيف الأدبي 1 – 2 – المفهوم الاصطلاحي لمصطلح الحكاية الشعبيّة 1 – 3– صعوبات بارزة في مجال دراسة الحكايات الشعبيّة: 1– 3 – 1– صعوبة ترتيب الحكايات الشعبيّة 1 –3 – 2– صعوبة تجنيس الحكايات الشعبيّة 1– 3 – 3– صعوبة تصنيف الحكايات الشعبيّة 2– بداية تاريخ الاهتمام بالحكايات الشعبيّة 3– الحكايات الشعبيّة ومسألة التصنيف: 3–1– التصنيفات الغربيّة 3–2– التصنيفات العربيّة	18.....37
الخاتمة	– خاتمة استنتاجية	38.....40
البيبليوغرافيا		41.....43
الملخّص		44.....45